

موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

الصحايات الجليلات
بنات النبي الكريم

السيرة- سيرة الصحابيات الجليلات - بنات النبي الكريم - سيرة السيدة رقية ذات الهجرتين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٦-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحة قصيرة عن سيرة رقية بنت النبي :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الخامس والعشرين من دروس سير الصحابيات الجليلات ، ومع بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابية الجليّة رقية ذات الهجرتين . هي رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولدت بعد زينب، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة أولاً، وإلى المدينة المنورة ثانياً، من تزوجها؟

تزوجها عتبة بن أبي لهب، فلما أنزلت آية:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: ١]

قال أبوه له:

((رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق

ابنته، ففارقها قبل الدخول .

-فقد ذاق النبي صلى الله عليه وسلم

مأساة تطليق البنت، طلاق المرأة

كسرهما، وكسر لأبيها وأمها، النبي عليه الصلاة والسلام حينما جعله الله أسوة حسنة للمؤمنين

إلى نهاية الدوران، كان كاملاً في كل موقف، ذاق ألم فقد الولد، ذاق ألم تطليق البنت، ذاق ألم

أن يفشو في المدينة حديثاً لا يليق بالسيدة عائشة زوجة رسول الله، ذاق ذلك، ذاق الفقر،

وذاق الغنى، وذاق القهر، وذاق النصر، وذاق الصحة، وذاق المرض، كل شيء أذاقه الله عز

وجل، ووقف الموقف الكامل، ليكون عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة - .

فقال له أبو لهب: رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق ابنته فطلقها، -من تزوجها بعد عتبة بن

أبي لهب؟ عثمان بن عفان، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية: ٣٨]



أحياناً يقع ظلمٌ بين الزوجين، الله سبحانه وتعالى يغني كلاً من سعته، بل إن الطرف المظلوم هو المكرّم عند الله عز وجل، اجعل نصيبك الله في كل شيء، كن في طاعته، واجعل نصيبك رضوان الله عز وجل، وأنت الفائز، والعاقبة لك، على كل آية:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: ١]

فيها إعجاز، أبو لهب حي يرزق، وجاءت الآية تقول:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: ١]

وهو ذكي، أعمل عقله، لو أنه ذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام بعد نزول هذه الآية ، وقال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، نفاقاً لو قالها، لأبطل هذه الآية، هناك أبلغ من ذلك، يقول الله عز وجل:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَآهْمُ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾

[سورة البقرة الآية: ١٤٢]



هؤلاء وصفوا بأنهم سفهاء، وأنهم سيقولون هذا، وعقولهم في رؤوسهم، لو أنهم سكتوا لأبطلوا هذه الآية، أبو لهب يحتاج إلى أن يذهب، وأن يعلن إسلامه، ليبطل هذه الآية، هؤلاء لو سكتوا، وإن الله عز وجل إرادته طليقة، بيده كل شيء، لو أعطاك الاختيار، قادرٌ أن يسلبه منك في آية لحظة،

((إن الله تعالى إذا أحب إنفاذ أمر سلب كل ذي لب لَبِّه))

لا ينفك مع الله ذكاؤك، ولا عقلك، ولا حسن تدبيرك، يؤتى الحذر من مأمنه، ينفك مع الله استقامتك، ينفك مع الله توبتك، ينفك مع الله إنابتك، هذا الذي ينفك، لو كنت أذكى الأذكىاء وأراد الله أن يؤدّبك، سلب منك العقل .

لذلك هناك أشخاص، يتميزون بالذكاء، يرتكبون حماقاتٍ ما بعدها حماقات، اعتدوا بذكائهم، فحجب الله عنهم ذكاءهم، اعتدوا بقوتهم، فحجب الله عنهم قوتهم، اعتدوا بمالهم، حجب الله عنهم طريقة الانتفاع بمالهم- . فارقها قبل أن يدخل بها، ثم تزوجها عثمان بن عفان، وولدت له عبد الله،



وبه كان يُكنّى ، وبلغ ست سنين، ثم توفي، وتوفيت رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر، وكانت قد أصابتها الحصبة)) وأجل الإنسان بيد الله، لا يدري متى يأتيه؟ .

إلَيْكُمْ هَجْرَتُهَا إِلَى الْحَبْشَةِ مَعَ زَوْجِهَا عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَالْعَبْرُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْهَجْرَةِ؟

أيها الأخوة، الآن ندخل في موضوع الهجرة الأولى: لقد كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة، رخصةً من الله تعالى للمستضعفين في مكة، من المسلمين الذي أوذوا، واضطهدوا من أجل إسلامهم . قال ابن إسحاق:

((لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .

-ماذا يستنبط من هذا الأمر؟ يستنبط من هذا الأمر رحمة النبي عليه الصلاة والسلام، هو في منعة، مكانته في بني هاشم، وعمه أبو طالب، تمنعه من أن ينال بأذى، لكن رحمته بأصحابه، وحرصه عليهم، وشفقته عليهم، حملته على أن يعطيهم هذه الرخصة .

أنبه إلى نقطة دقيقة، أرجو أن تكون واضحة: الإنسان يحب أن يكون الناس كلهم حوله، هذه شهوة، لذلك سمح لهم أن يغادروا مكة، وأن يعيشوا في بلاد الحبشة، وهم بعيدون عنه، طبعاً تبعد عنه خدماتهم، وولاؤهم، ومحبتهم، لكن رحمته صلى الله عليه وسلم كانت غالبيةً .

شيء آخر: أحياناً إنسان يغرر بإنسان، وهو في مكان أمين، هذا منتهى اللؤم، أن تورط إنسان، وأن تضعه في مكان تصعب الحياة فيه، وأنت معافى في مكان مرتاح فيه، النبي عليه الصلاة والسلام كان في المعمة، وكان وسط المعركة، وكان في بؤرة المتاعب، ونجاً أصحابه من هذه المتاعب، هناك من يفعل العكس، هو في مأمن، هو في بحبوحة، هو في مكان مريح، هو في وسائل الحياة المريحة، والذين غرر بهم، يعانون من الآلام ما لا يطاق، أهذا هو الوفاء؟ أهذه هي الرحمة؟ .



هاجر الصحابة للحبشة هرباً من تنكيل قريش

هو في معمة المشكلات، وقد أرسل أصحابه إلى الحبشة ليرتاحوا من العذاب، من الاضطهاد، من التنكيل، وهو عليه الصلاة والسلام لا يقدر أن يمنعهم، هو أيضاً ضعيف، لماذا كان ضعيفاً عليه الصلاة والسلام؟ لم لم يجعله الله ملكاً؟ فإذا أعطى أمر، ملايين مملينة تنفذ هذا الأمر، جعله ضعيفاً، حينما جاء بالرسالة، يستطيع أحد الناس

أن يتهمه، ويقول: هذا ساحر، وقالوا: ساحر ، وقالوا: مجنون، قال تعالى:

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾

[سورة القلم الآية: ٢]

وقالوا : كاهن، وقالوا: مصاب بمرض يحتاج إلى طبيب، وقالوا: شاعر، والذين قالوا عنه: مجنون، وساحر، وكاهن، وشاعر، ناموا في بيوتهم مرتاحين، ما أحد تعرض لهم بالأذى، لأنه كان ضعيفاً، والحكمة في كون النبي ضعيفاً، ليكون الإيمان به حقيقةً، إيماناً تحت الضغط، ليكون الإيمان به ثميناً، أما إذا كان الإنسان قوياً، فأنت بالطبع تعلن ولاءك له خوفاً منه، وتعلن ولاءك له طمعاً فيما عنده، أما إذا كان ضعيفاً، لم يكن قادراً على أن يحمي نفسه، ولا أصحابه، فإذا آمنت به، فإيمانك صحيحٌ مئةً في المئة، لا تعتريه شائبة، لأنك لا ترجوه ولا تخافه، قال تعالى:

﴿قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥٠]

﴿قُلْ إِنِّي لَّا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

[سورة الجن الآية: ٢١]

أحبه أصحابه، تعلقوا به، فدوه بأرواحهم، وأموا لهم، وأولادهم، ويقول لهم كل يوم:

﴿قُلْ إِنِّي لَّا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

[سورة الجن الآية: ٢١]

الأبلغ من ذلك، قال تعالى:

﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٨٨]

ويقول لهم:

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥٠]

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٨٨]

إنسان يقول للناس، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي لَّا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

[سورة الجن الآية: ٢١]

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥٠]

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة الزمر الآية: ١٣]

والناس يتعلقون به، هذا هو الإيمان الصحيح، الإنسان أحياناً يميل لكي يؤمن بقوي، والقوي عنده أشياء كثيرة، يعطيك إياها، يعطيك أمناً أحياناً، يقول لك: أنا من جماعة فلان، فتمشي بالعرض، يعطيك أمناً، يعطيك مالاً، يعطيك شأناً، أما حينما تؤمن بإنسان مغمور، لا يعرفه أحد، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً، معنى هذا: أن إيمانك به صحيح، إيمانك به صادق، فهذا الذي يمكن أن يقال في هذا المقام:

((لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً، لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه))

فأكثر الذين يجتمع الناس حولهم، لا يحبون أن يغادرهم أحد، كلما كثر سوادهم علا شأنهم، وكلما كثر أتباعهم تمكنت مكانتهم، فلذلك هؤلاء الذين يحبون أن يجتمع الناس حولهم، لا يوافقون على أن يغادرهم أحد، أما النبي عليه الصلاة والسلام فقلبه كقلب الأم، رحمته بأصحابه جعلته يسمح لهم أن يغادروا مكة إلى الحبشة، ويعيشون بعيدين عنه - .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله تعالى بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان، ومعه زوجته رقية، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعظيم شأن الهجرة عند الله تعالى، أنزل فيها قرآناً يُنلَى إلى يوم القيامة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِنَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَمَا يَسْتَضِعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾

[سورة النساء الآية: ٩٧-٩٩]

أيها الأخوة، وقعت الفرقة بين رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين عتبة بن أبي جهل ذلك قبل الدخول عليها للسبب الذي ذكر، تقدّم عثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطبها، وينال شرف المصاهرة العزيزة، ويتقبّل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هذا الخاطب الكريم، الذي كان أول من أسلم على يدي أبي بكر الصديق، ويزداد هذا الصحابي الجليل شرفاً على شرف حينما يكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيل: لم ير زوجان قط أجمل ولا أبهى
من رقية وعثمان، كانا زوجين
سعيدين، غير أن فرحة العروسين لم
تكتمل، -لماذا؟- لأن عشيرة عثمان بن
عفان رضي الله عنه، حينما علمت أنه
آمن بمحمد قاطعته، وحينما علمت أنه
تزوج ابنته، ازدادت عداً له، -وهذا
شأن الحق والباطل إلى يوم القيامة،
معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل،



لقب عثمان بذي النورين لأنه تزوج من ابنتين من بنات النبي الكريم

أساسها الولاء، أهل الحق يوالون الحق، وأهل الباطل يوالون الباطل، فهذا الإنسان له مكانة عليّة في قومه، فلما آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام، خسر من حوله، وهذا امتحان .



معركة الحق والباطل أزلية

في صحابي جليل اسمه: مصعب بن عمير، كان ابناً مدلاً لأسرة سرية جداً في مكة، فكانت حياته خيالية؛ يأكل أطيب الطعام، ويرتدي أجمل الثياب، وله مكانة، وله مال، فهو شاب، وله وسامة، وله أناقة في ثيابه، حياته ناعمة جداً، فلما أسلم، قاطعه أهله، وحرّموه كل شيء، هذه محنة، هذا امتحان .

أنت طالب جنة عرضها السموات والأرض إلى أبد الأبد، لا يمكن من أن تمتحن، لا بدّ أن تمتحن، الامتحان أساسي، وطّنوا أنفسكم، كلما كان طلبكم أعلى كان الامتحان محققاً، أندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ قال: لن تمكن قبل أن تبتلى، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٤٢]

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت الآية: ٢]

سلعة الله غالية، ومن طلبها بثمنٍ بخسٍ حُرِمَ منها، عليك أن تؤدّي الثمن - .
سيدنا عثمان حينما أسلم، خرج عن مشورة عشيرته، لذلك حقد عليه رجال عشيرته ونساؤها، وأخذوا يدبرون الكيد له ولزوجته، وحقدت قريش عليه، وأخذت موقفاً عدائياً منه، لأنه هجر دين قومه، وباع من حوله بدينه .

لَمَّا أَخَذَتْ قَرِيْشٌ فِي إِعْدَادِ الْأَذَى لِكُلِّ مَنْ أَسْلَمَ، وَتَقَرَّبَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَشَاوَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَا يَتَّخِذُونَهُ مِنْ تَدَابِيرٍ شَتَّى، لِمُوَاجَهَةِ حَمَلَاتِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ، الَّتِي تَسْتَهْدَفُ تَعْذِيبَ مَنْ أَسْلَمَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، فَقَدْ كَانَ بِلَالٌ يَوْضَعُ عَلَى الرَّمْلِ الْمُحْرَقِ، يَوْضَعُ الْحِجْرَ فَوْقَ صَدْرِهِ، وَيَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، لِذَلِكَ مَا كَانَ ثَمَّةَ مُتَنْفَسٍ، وَمَا



كان في طريق للخلاص إلا الهجرة - .

أيها الأخوة، استجاب المسلمون لرغبة النبي عليه الصلاة والسلام في الهجرة إلى الحبشة ، وتسلل عددٌ منهم من مكة صوب الساحل، كي تقلّهم سفينتان كانتا متجهتين صوب الجنوب، لو أن أهل قريش علموا بهجرة هؤلاء لمنعوهم، حتى مغادرة البلد تحتاج إلى موافقة، فكان هناك صعوبة كبيرة في التسلل إلى الحبشة دون أن يعترضهم معترض .

أول من ركب في هاتين السفينتين: سيدنا عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حذيفة وامرأته سهلة، والزبير، ومصعب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة، وامرأته أم سلمة، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وامرأته ليلى .



المرأة في الإسلام لها شأن كبير، هي كالرجل تماماً، من حيث التكليف، والتشريف، والمسؤولية، فهذا الذي يتوهم أن المرأة دونه بكثير، هذه نظرة جاهلية، الصحابيات الجليلات كن عوناً لأزواجهن على طاعة الله - .

أمر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون، - وهذا هو التنظيم الدقيق في الحياة الاجتماعية، التنظيم حضارة،

((إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا أحدكم))

أي نزهة، ليس فيها أمير، تقع فيها مشكلات لا تنتهي، كل واحد له مزاج، كل واحد له رأي، فحتى في الحج، إذا لم تكن فيه قيادة حكيمة للفوج، تنشأ مشكلات لا تنتهي، هذا النظام الذي أمر به النبي:

((إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا أحدكم))

أمره نافذ - ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المهاجرون منفردين أو مع أهلهم، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة بضعةً وثمانين مهاجراً، عدا أبنائهم الصغار الذين خرجوا معهم أو ولدوا هناك، بضعةً وثمانون مسلماً، تركوا مكة المكرمة، وفيهم كبار الصحابة))

هو أنك مع الله، في بلدك، في بلدٍ بعيد، في بلدٍ قريب، في بلدٍ بارد، في بلدٍ حار، في قريةٍ صغيرة، في مدينةٍ كبيرة، في بلادٍ جميلة، في بلادٍ غير جميلة، الله معك، وهذا من عظمة الإسلام،

((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لكن أضع بين أيديكم بعض الحالات:

امرأةٌ محجبة في بلد، فإذا ركبت الطائرة، وغادرت هذا البلد إلى بلدٍ آخر، خلعت الحجاب، وسافرت بأبهى زينة، أهذا إيمان؟ أبداً، هذا سلوك اجتماعي فقط، يوم كانت في بلدها، كانت

مقهورةً بالنظام الاجتماعي، تخاف على سلامتها، تتحجّب، فإذا ركبت الطائرة، هي في الطائرة، تخلع كل ثيابها، وتبدو في أجمل ثياب، لا قيمة لهذا الحجاب إطلاقاً .

أي شيءٍ تفعله، فإذا سمحت لك فرصة، تتخلى منه، فهو قهر، هو ضغط، المؤمن يعبد الله أينما كان، أينما ذهب، كقول أحد العلماء:



((بستاني في صدري، ماذا يفعل أحد أعدائي بي؟ إن أبعدونني فإبعادي سياحة، وإن حبسوني

فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي؟))

تجد المؤمن مستقيماً في بلده، وفي السفر، وبالطريق، وفي الطائرة يتغيّر، وثمة إنسان تحت ضغط، إذا رفع عنه الضغط، تقلّت، إذاً: فهذا الذي يفعله في بلده ليس ديناً، إنما هو قهر . لذلك أنا أتمنى على كل أخواننا الكرام ألا يلجئوا مع أولادهم إلى القمع، أعرف رجلاً والله لا أركي على الله أحداً، لكن أعلمه صالحاً، لكن ما سلك مع بناته سلوك الإقناع والتعليم، سلك معهن سلوك الإجبار، أجبرهن على الحجاب، فلما توفي، خرجن سافراتٍ، كاسياتٍ، عارياتٍ، فالبطولة أن تربي أولادك بطريقةٍ، لو غبت عنهم، لو غادرت الدنيا إلى الآخرة، أن يبقوا على العهد. أعرف صديقاً لي، توفي بحادث، وله دعوةٌ في بيته طيبة، توفي بحادث، وترك زوجةً وثلاثة أولاد، الزوجة تركها في العشرين من عمرها، مضى على موته، أو هذا الحادث عشرون عاماً، وما تغير شيء في البيت، مما كان على عهده، له التزامه، انضباط البيت، لا يوجد اختلاط، لا توجد أجهزة لهو، البيت هو، إنسان يموت، ويخلف زوجة في العشرين وأولاد، ونظام البيت نظام إسلامي، لا يتغير فيه شيء إطلاقاً، هذه البطولة، البطولة أن تدع أثراً يطبق بعد غيبتك .



من يطيعك خوفاً منك يعصيك في غيابك

أما إن أطاعك من حولك في حضورك، وعصوك في غيابك، هذه ليست طاعة، الذي يخاف من قوتك، هذا لا يحبك، وهذا ليس مطيعاً لك، بل هو يحب نفسه، أطاعك لسلامة نفسه، أطاعك حباً بذاته، أما العبرة أن تطاع عن قناعة، لذلك:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خيراً من المغف))

حاول أن تقنع، لا أن تقمع، حاول أن تقنع، لا أن تجبر، سيد المرسلين، سيد الخلق، قال له:

﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٦٦]

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

[سورة هود الآية: ٨٦]

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٧٢]

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

[سورة القصص الآية: ٥٦]

الله عز وجل بين له، قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٥٦]

فبطولتك في تربية أولادك أن تقنعهم، لا أن تقمعهم، أن تأخذ بيدهم إلى الله، لا أن تجبرهم على شيء ليسوا قانعين فيه .

رجل حضر درساً أو درسي علم، فوجد الحجاب حقاً، فألزم زوجته بالحجاب دون أن يقنعها، إما أن تضعي على



بطولتك أن تقنع أولادك بالإسلام بدل إجبارهم عليه

رأسك هذا المنديل أو أطلقك، فهو له مكان عمل في بلد بعيد، يقول: هي في الطريق من دمشق إلى بيروت، وهي تبكي، لأنها وضعت الحجاب قهراً .

رجل حكيم نصحه أن تعود إلى ما كانت عليه، وأن يقنعها بالحجاب خلال ستة أشهر، وهذا الذي حدث، أفنعها، عاملها أطيّب معاملة، بيّن لها عظمة الشرع، بين لها ما عند الله من عطاء كبير إذا هي أطاعت ربها عز وجل، بين لها أن المرأة تؤذي من حولها إذا أظهرت مفاتها ، إذا هي تطلب الحجاب منه طواعيةً، هذه البطولة أن تحمل من حولك على أن يختاروا طاعة الله ، لا أن تكرههم على طاعة الله، أن تقنعهم، أن تبين لهم، حتى يختاروا هم طاعة الله، إذا اختاروا هم طاعة الله، ارتقوا بهذا الاختيار، أما إذا أكرهتهم لم تقنعهم، بل كرهتهم في الدين .

ومن الناس من يجبر أبناءه على الصلاة، فتجد هذا الابن يصلي، لكنه يكره الصلاة كما يكره الموت، أما إذا تلطّف به، وشجّع به، وكافأه، وأقنعه، فإذا صلى هذا الابن، فهذه صلاة جيدة جداً ، هذه صلاة ناتجة عن قناعته، فلذلك أقنع ولا تقمع، بين ولا تكره

علم ولا تعنّف .



هناك نقطة ثانية في الموضوع دقيقة جداً: هي أن الإنسان ولد في مكان، وهذا المكان محبّب له جداً، والدليل:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾

[سورة النساء الآية: ٦٦]

كل واحد بلده محبّب له، مسقط رأسه محبّب إليه، لكن الإنسان مخلوق للجنة، فإذا منعه بلده أن يطيع الله عزّ وجل، ماذا عليه أن يفعل؟ يجب أن يغادر إلى بلدٍ، يطيع الله فيه، لأنك أنت مخلوق لعبادة الله، والدليل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٥٦]

علّة وجودك على وجه الأرض أن تعبد الله، فإذا كنت في مكان، وحيل بينك وبين عبادة الله، وجب عليك أن تغادره إلى مكانٍ تعبد الله فيه، مكان فيه ذل، وفيه قهر، المكان الذي تعبد الله فيه هو الجنة، والمكان الذي تُقهر فيه هو جهنم، فلذلك آية الهجرة دقيقة جداً، لكن والعياذ بالله الآن هناك هجرة في سبيل الشيطان، الناس يهاجرون من بلدٍ يقيمون فيه شعائر الإسلام، فيه دروس العلم، وشعائر الدين، وفيه روحانية، ومع ذلك فهناك مَنْ يَدَعُ كل هذه الميزات، من أجل الدرهم والدينار .

حدثني أخ كريم، كان في بلد في أوروبا، قال لي: دخلت إلى مسجد في فرانكفورت لأصلي، على مقربةٍ منه حديقة، أنا ظننتها حديقة عادية كأى حديقة، فلما وصل إلى هذه الحديقة، فإذا بالناس كما خلقهم الله، من دون شيء، رجالاً، ونساءً، وأولاداً، ويمارسون كل الفواحش علانيةً.



فأنت في بلد فيه بقية حياء، فيه بقية خجل، فيه بقية دين، فيه ترابط أسري، لذلك المصيبة الكبيرة، أن تهاجر من بلدٍ، تقام فيه شعائر الدين إلى بلدٍ متقلبت، هذه هجرةٌ عكسيّة، هجرةٌ في سبيل الشيطان .

حدثني أخ أقام في بلد أجنبي، قال لي: حينما عدت إلى دمشق، وسمعت الأذان، اقشعرّ جلدي، هذه نعمة الأذان، لا يعرفها إلا من فقدّها، المقت، الكُفر، الحانات، الملاهي، دور سينما، نساء متقلّبات، دور بغاء، هذه بلاد الغرب، نحن عندنا هنا مساجد، كل مئة متر مسجد، دروس صباحاً، وظهراً، ومساءً، نحن في نعمة كبيرة جداً، لا يعرفها إلا من فقدّها، هذه النعمة نعمة مجالس العلم، هذه نعمةٌ عظيمة .

فالمسلمون في الحبشة، قاموا بواجباتهم الدينيّة، ودعوا إلى الله، صار في دعوة هناك أيضاً، والدليل: أن النجاشي ملك الحبشة، أسلم ممن أسلم، وصلى النبي عليه صلاة الغائب، يُعد النجاشي

من التابعين، لم ير رسول الله، لكنه يعد تابعياً جليلاً، والنبى صَلَّى عليه صلاة الغائب، وحينما قديم وفد النجاشي، خدمهم النبي بنفسه، ما هذا الإكرام؟ بنفسه ، نكفيك ذلك، قال:

((لا أحب أن أكافنهم كما أكرموا أصحابي))

أيها الأخوة، هذه الهجرة إلى الحبشة هجرة مباركة، فأنت بحاجة أحياناً إلى جو مريح تعبد الله فيه، الاضطراب الشديد، والفتن، والخصومات، والقمع، هذا جو متوتر، لا يعينك على معرفة الله، فلذلك أحياناً يختار الله عزَّ وجلَّ لبعض المؤمنين مكاناً بعيداً عن المدينة، فالإنسان بحاجة إلى خلوة مع الله



فالنبي كان يخلو مع ربه الليالي ذوات العدد، أما أنت كمؤمن فمكف أن يكون لك خلوة مع الله عزَّ وجلَّ، فهؤلاء الصحابة الكبار الذين عاشوا في بلاد الحبشة، في ظل ملكها، وفي دعة وراحة، هؤلاء بنوا إيمانهم .

وبالمناسبة أخواننا الكرام، شباب ومتزوجون، الإنسان قبل الزواج، فيما قبل الزواج، هناك ميزات لا يعلمها إلا المتزوج، أنت خفيف، لا يوجد معك أحد، ليس هناك ارتباط، ممكن تصلي، تقرأ قرآن، تحضر دروس علم، تتفوق بالدين، وقت بناء الإيمان، لكن الزواج كما ورد:

((مجبنة مبخلّة مشغلة))

فإذا واحد قبل أن يتزوج ليستغل هذه الفرصة:

((اغتتم خمسا قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك

قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))

فكل سن له جمال، ما قبل الزواج أنت متفرغ، يمكن أن تسهر، تقرأ، تدرس، لا يوجد إنسان يسألك: أين أنت؟ أما المتزوج: أين أنت إلى الآن؟ أين ذاهب؟ لا تذهب إلى هذا الدرس، اقعده، عندك عقبات، أما الأعزب فهو طليق، يحضر كل دروس العلم، لا أحد يحاسبه أساساً، أما عندما يتزوج فيجب أن يوفّق بين حقوق الزوجة وبين حقوق الله عزَّ وجلَّ .

ما الخبر الذي فوجئ به عثمان وزوجه رقية حينما وصلا إلى مكة، ومتى هاجرت رقية مع زوجها إلى المدينة، ولم لم يحضر عثمان غزوة بدر، وما الخبر الذي فوجئ به النبي بعد عودته من بدر؟

أخواننا الكرام، توهم بعض الصحابة الكرام، وهم في بلاد الحبشة، أن قريش رجعت إلى رشدتها، وأنها تقبلت هذا الدين العظيم، فكان هذا الوهم دافعاً لبعض أصحاب رسول الله أن يعودوا إلى مكة، من هؤلاء سيدنا عثمان، وابنة النبي عليه الصلاة والسلام رقية، استقلا سفينة، وعادا بها إلى مكة، فإذا الحقيقة عكس ذلك، كان أصحاب النبي المستضعفون، يذوقون ألوان العذاب على يد كفار قريش .

عادت رقية رضي الله عنها مع زوجها عثمان إلى مكة، وفوجئاً بهذه الحقيقة المرة، ثم فوجئت أن أمها خديجة قد توفّاه الله عزّ وجل، فلاذت بأبيها، ورأت ما يفعله كفار قريش من تكليل أصحاب رسول الله، ثم أذن الله للنبي عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة المنورة .

هاجرت رقية مع زوجها عثمان إلى المدينة، وفي المدينة وضعت ابنها عبد الله بن عثمان، عندما وضعت ابنها عبد الله بن عثمان في المدينة، أصيبت بمرض الحصبة، فأقام زوجها عثمان رضي الله عنه إلى جانبها يمرضها ويرعاها، ولمّا استتفر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه لغزوة بدر.

-الآن في غزوة، في جهاد، والجهاد ذروة سنام الإسلام، وسيدنا عثمان زوجته مريضة ، أمره النبي أن يبقى إلى جانب زوجته، تمرض الزوجة من خلال هذه الحادثة، يعدل الجهاد في سبيل الله، أريت إلى العلاقات الأسرية ما أقواها في الإسلام؟ .

الشيء الأغرّب: أن سيدنا عثمان لم يشهد هذه الغزوة، غزوة مشرقة، أعزّ الله بها الإسلام والمسلمين، وانتصروا فيها، وقد فات عثمان رضي الله عنه شرف هذه الغزوة- فلما وُزعت الغنائم، عدّ له سهمٌ كما لو كان مشاركاً في هذه الغزوة، -أرأيتم إلى العمل الطيب؟ هو يمرض زوجته في المدينة، وعدّ عند رسول الله من المجاهدين، لذلك عندما قال النبي لامرأة:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من ورائك من النساء، أن حسن تبعل إحدانك لزوجها، وطلبها

مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله))

وبالمقابل حسن رعاية الزوج لزوجته، يعدل الجهاد في سبيل الله، عُدَّ مع المجاهدين، ونال نصيب الغنائم كما لو كان مجاهداً- .

ثم عاد النبي عليه الصلاة والسلام من معركة بدر منتصراً عزيزاً، ففوجئ بوفاة ابنته رقية، لذلك حينما أُخبر بوفاة ابنته رقية، ودمعت عيناه الشريفتان على فراقها، ثم ذهب مع ابنته فاطمة، لزيارة قبر ابنته رقية، ففقدت فاطمة بقرب القبر تبكي، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عن



عينها بطرف ثوبه، يخفف من أجزائها، طبعاً هذه ابنته، ولا بدَّ أن يزور قبرها، وأن يدعو لها، لكن هذه القصة ذكرتني بقصة ثانية:

امرأة في أدنى درجة اجتماعية، كانت تقمُّ المسجد، أي تنظفه، أي بحسب السلم الاجتماعي هذه مرتبة دنيا، وقد يكون هذا العامل في التنظيفات مستقيماً، قد يكون أرقى عند الله من إنسان له شأن كبير، الأمور عند الله بمقياس آخر، بمقياس الإخلاص، بمقياس الاستقامة، فهذه المرأة التي تقمُّ المسجد ماتت، لضعف شأنها، ولهوانها على الناس، رأوا أنه لا ينبغي أن يُخبر النبي بموتها، فالصحابية الكرام اجتهدوا أن هذه المرأة التي تقمُّ المسجد، ليس لها أي دور، ليست من المكانة حيث إن النبي يبلغ عن وفاتها، ما يبلغ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه:

((أَنَّ أَسْوَدَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، كَانَ يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ، وَلَمْ يَعْلَمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْتِهِ، فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ؟ قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أَذْنَتُمُونِي؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا قِصَّتَهُ، قَالَ: فَحَقَرُوا شَأْنَهُ، قَالَ: فَذَلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، فَأَتَى قَبْرَهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما]

خجلوا، فذهب إلى قبرها، ودعا لها، فليست ابنته فقط، ذهب إلى امرأة، تقم المسجد فقط ، وهي في المرتبة الدنيا في السلم الاجتماعي، فالقضية قضية مبادئ، قضية قيم، قضية مشاعر .



أيها الأخوة، فالإنسان ينبغي أن يعلم علم اليقين: أن هذا الدين العظيم ما وصل إلى أطراف الدنيا إلا بهذه القيم، وحينما فهم الدين عبادات، وصلوات، ورقص أحياناً، وغناء أحياناً، ومظاهر، والدين في واد، وحياة الناس في واد، عندئذٍ أصبحت كلمة المسلمين ليست هي العليا، رفرقت راياتهم في

الخافقين، حينما فهموا الدين قيماً، أما حينما فهموه طقوس، الآن الدين طقوس، أي أن فلان يصلي، إنه صاحب دين، أما أمين غير أمين، صادق غير صادق، مقياس الدين عند الناس أنه يصلي فقط، أما مقياس الدين عند الله عز وجل، أو عند رسول الله، اسمعوا هذا الحديث:

((هل تدرون من المفلس؟ هل تدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي، من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فبقعد، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيبت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم، فطرحته عليه، ثم طرح في النار))

[أخرجه أحمد في مسنده]

هذا هو الفهم الصحيح للدين، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا .

والحمد لله رب العالمين

السيرة- سيرة الصحابييات الجليلات - بنات النبي الكريم -السيدة زينب الكبرى - الدرس (١)
(٢) : سيرة السيدة زينب الكبرى

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٥-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الثالث والعشرين من سير الصحابييات الجليلات رضوان الله تعالى عليهن أجمعين، ومع بنات النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ابنته البكر السيدة زينب الكبرى، كما توصف في كتب السيرة .

أيها الأخوة الكرام، فإذا خص الله عز وجل مؤمناً بالبنات فقط، فلا ينبغي أن يتألم، لأن البنت ريحانة، وكما كان يفعل النبي عليه الصلاة والسلام حينما جاءته فاطمة، ضمها وشمها وقال:

((ريحانة أشمها، وعلى الله رزقها))

وأي بيت من بيوتكم إذا كان فيه بنت، فقلربما كانت سبباً لدخول أبيها الجنة .
وعن عائشة قالت، قال رسول الله



إذا خص الله مؤمناً بالبنات فقط يجب أن لا يتألم فالبنت ريحانة

صلى الله عليه وسلم:

((من ابنتي بشيء من البنات فصبر عليهن، كن له حجاباً من النار))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وعن عتبة بن عامر يقول، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جدته، كن له حجاباً

من النار يوم القيامة))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

إنه كلام النبي، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بنت واحدة إذا أحسنت تربيته، عرفت بها بربرها، عرفت بها دينها، عرفت بها على الخلق، والعفاف، والحشمة، والتستر، بينت لها أحكام الشرع، فأنت في الطريق إلى الجنة .



كان عليه الصلاة والسلام أبا البنات، قد يقول قائل: ما الحكمة في أن الله عز وجل لم يرزقه ذكوراً كبيراً وأعانوه على الدعوة؟ .

النبي عليه الصلاة والسلام أراد الله أن يعتمد عليه وحده؛ لأن الأب أحياناً يعتمد على ابنه، ولكن النبي ليس هناك

أب وأم يدلان عليه بفضلتهما، نشأ يتيماً، وليس له ابن ذكر يعينه على متاعب الحياة، قال تعالى:

﴿لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾

[سورة الضحى الآية: 6-8]

فلم يعيش للنبي صلى الله عليه وسلم من أولاده ولا ذكر واحد، بل جميعهم ماتوا صغاراً.

بالمناسبة أخواننا الكرام، الذي يعاني أن أولاده جميعاً إناث، فله في النبي أسوة حسنة، الذي يعاني من أب صعب، فله في سيدنا إبراهيم أسوة حسنة، الذي يعاني من ابن سيء، فله في سيدنا نوح أسوة حسنة، والمرأة التي تعاني من زوج، لها في السيدة آسيا أسوة حسنة، والزوج الذي يعاني من زوجته، له في سيدنا لوط أسوة حسنة، فإله عز وجل



التأسي بالرسول يملأ قلبك رضا عن الله

جعل في الأنبياء والمرسلين نماذج، فأني نموذجاً تعاني منه، لك في بعض الأنبياء والمرسلين أسوة حسنة، هذه الأسوة تملأ قلبك رضى عن الله عز وجل .



يقول بعض كاتبات السيرة: لكان الله جل جلاله أراد أن يعتمد الرجل الذي يصطفيه نبياً على احتمال أبوة الإناث، أبو البنات عليه عبء ثقيل، وكان صلى الله عليه وسلم في أبوته لبنات أربع، قدوة صالحة للمؤمنين، ورسالته التي أعزت الأنوثة، وقررت لها من الحقوق ما لا تطمح إلى مثله نساء العصر الحديث .

أنا سمعت من أخ صادق، يعمل في مركز في أمريكا، أن أربع أستاذات جامعات منه انتدبن، وزرن الشرق الأوسط، زرن سوريا، ومصر، والمملكة العربية السعودية، فيما أذكر ليدرسن حالة المرأة المسلمة التي يتوهمون أنها مضطهدة، ويتوهمون أنها لم تتل حقوقها، فطفن في هذه البلاد طولاً وعرضاً، وشمالاً وجنوباً، ثم فوجئن أنه ما من امرأة في العالم مكرمة كما هي المرأة المسلمة .

الشيء الذي لا يُصدق: أن هؤلاء النسوة الأربع، الأستاذات في الجامعة، اللواتي أتين ليتفحصن حال المرأة المسلمة، أسلمن جميعاً، وعدن إلى بلدهن مسلمات .
المرأة الآن في أمريكا، إن لم تعمل ثماني ساعات وساعتين قيادة سيارة عمل، ربما تموت من الجوع، أما أية امرأة من نساء المؤمنين، سيدة منزل، تعيش في بحبوحة، وفي راحة ، وفي تكريم، وكأنها ملكة في مملكة صغيرة .

إليك الحديث عن زينب بنت النبي من حيث سيرتها الذاتية مجملّة :

البنات الأولى؛ السيدة زينب الكبرى، هي زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم، أسلمت وهاجرت قبل الإسلام، زوجها أبوها قبل الإسلام بست سنين، طبعاً تزوجها ابن خالتها أبو العاص، فولدت له أمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وولدت له علي بن أبي العاص، ومات صبيّاً .

وعن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرسل إليها أبو العاص بن الربيع، أن خذي أماناً من أبيك فخرجت، فأطلت رأسها من باب حجرتها، والنبي في المسجد يصلي الصبح بالناس، فقالت:

((أيها الناس، إني زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني قد أجزت أبا العاص، فلما فرغ النبي صلى الله عليه من الصلاة، قال:

((يا أيها الناس، إنه لا علم لي بهذا حتى سمعتموه، ألا وإنه يجير على المسلمين أديانهم))
هذه ومضة من سيرة هذه الصحابية الجليلة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد حين سوف نطلع على ملابسها .

قبلَ النبي وأصحابه جبرتها، وأجاروا أبا العاص زوجها، وأعطوه بضاعته، وسوف ترون بعد قليل، هذا الموقف الرائع الذي وقفه أبو العاص، حينما كان بيده أموال أهل مكة، لو أسلم لصارت كل هذه الأموال غنيمة للمسلمين، ولكنه أبى أن يبدأ إسلامه باغتصاب أموال الناس، ولهذه القصة تفاصيل تأتي بعدها .

أيها الأخوة، حينما أجاب النبي عليه الصلاة والسلام ابنته إلى طلبها، سألت أباها أيضاً أن يرد عليه متاعه، وأمرها ألا يقربها ما دام مشركاً، لأنه طلقها منه، طبعاً طلقها منه، وأرسلها إلى أبيها في المدينة، وكان في تجارة إلى الشام، عاد من الشام إلى مكة، ومعه تجارة عريضة، فألقت سرية من سرايا النبي القبض عليه، وساقته مع البضائع إلى المدينة، فأجارته زينب، وهي مطلقته، وقبلَ النبي طلبها، وقال:

((يا بني لا يصل إليك، لأنه لا يحل لك))

عاد أبو العاص إلى مكة، وأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم رجع مسلماً مهاجراً، فرد عليه النبي زوجته بذاك النكاح الأول .

طبعاً القصة لها تفاصيل نأخذها بعد قليل .

إليك الحديث عن زينب من حيث: زواجها، أولادها، مكاتها عند أبيها :

يقول كتاب السيرة: لقد كان لزينب في نفس أبيها محمد صلى الله عليه وسلم أثر كبير، فكان يحبها كثيراً، لكونها ولده البكر التي أطلت على زوجين حبيبين كريمين، فأضفت عليهما معالم الأبوة والأمومة .

رأتها خديجة ثمرةً يانعةً من شجرة مباركة طيبة، إنها ابنة محمد صلى الله عليه وسلم، الزوج العظيم، الذي لم تعلم الدنيا مثيلاً له خلقاً وأدباً، فرعتها أحسن رعاية .

أنا أقول لكم: مُتاح لكم تصلوا إلى أعلى درجات الجنة من خلال البيت فقط، اعتنِ بأولادك، اعتنِ بهم، متن علاقتك بأهل البيت، ربِّهم تربيةً سالحة، اجعل هذه الأسرة بوتقة، كل أفراد الأسرة ينصهرون بها .

أنا بصراحة أكبر كل أسرة متماسكة، وأتألم أشد الألم من أسرة متفككة، من أسرة متقاطعة، متدبرة، متنافسة، وإنّ أحد أكبر أسباب سعادة الإنسان أسرته المتماسكة، فشبت زينب على كريم الخلق .

بصراحة مرة ثانية: إذا أراد أحدكم أن يتزوج، اختر الأهل قبل الفتاة، لأن الفتاة نسخة صادقة عن أهلها، في أي بيت نشأت؟ هل هذا البيت بيت علم؟ هل هذا البيت بيت خلق؟ هل هذا البيت بيت نظام؟ هل هذا البيت بيت حياة؟ هل هذا البيت بيت ملائكي أم بيت شيطاني؟ هل أفراد هذا البيت



متفاهمون، متماسكون، متعاونون؟ هل هناك قيم تحكم هذا البيت؟ فقبل أن تعجبك فتاة في الطريق، ابحث عن البيت الذي نشأت فيه، وهذا من سعادة الشاب الذي يقبل على الزواج .

حتى إذا شبت على كريم الخلق، وبلغت مبلغ الفتيات، الطاهرات، النقيات، كان لها في حساب هذه الأم العظيمة ما تراه لابنتها الشابة .

مضى زمن يسير على بلوغ زينب مبلغ النساء، وقد ورد في الأثر:

((أن ثلاثة لا ينبغي أن تتأخر؛ الأيم إذا جاء من يخطبها، والصلاة إذا حضر وقتها، والميت إذا مات))

فتقدم أبو العاص ابن خالتها لخطبتها، النبي عليه الصلاة والسلام وافق على هذا الصهر، قال:

((إنه نعم الصهر الكفاء))

هذا وفاء منه صلى الله عليه وسلم، طبعاً بعد حين شارك المشركين في بعض الغزوات، وقع أسيراً، فلما استعرض النبي الأسرى، وقعت عينه على صهره، فقال:

((والله ما ذممناه صهراً))

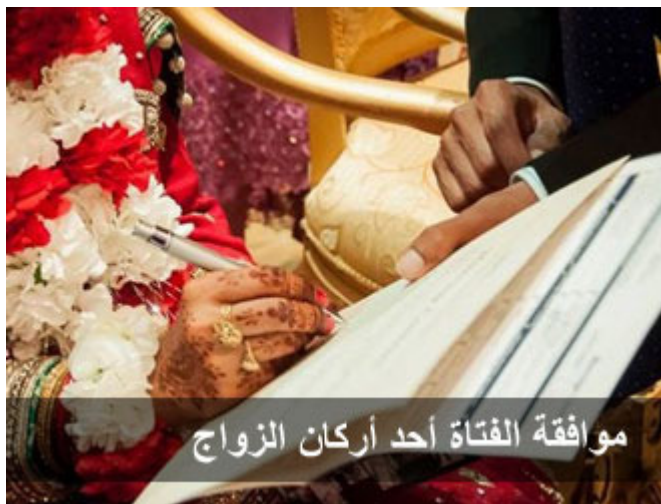
والآن جاء ليقاتل، وهو مشرك .

طبعاً الزواج تم قبل البعثة، ابن خالتها كفاء لها، أما بعد البعثة فتلكأ في إسلامه، وأبى أن يسلم، فطلقها النبي منه، وكانت بعض الغزوات، فشارك في هذه الغزوة، ووقع أسيراً، استعرض النبي الأسرى، فراه أمامه، قال:

((والله ما ذممناه صهراً))

مع أن النبي عليه الصلاة والسلام أعجب به، ووافق عليه، إلا أن النبي قرر أن للفتاة الحق أن تختار زوجها، فاستأذنها، فقال:

((أي بنيتي زينب، إن ابن خالتك أبا العاص بن الربيع جاء لخطبتك، فما كان منها إلا أن سكنت إعلاناً منها على القبول))



النبي سيد الخلق، حينما خطبت ابنته استأذنها، فلذلك أيّ أب يجبر ابنته على الزواج، وهي كارهة، أو غاضبة، فهذا الزواج لا يقع، لأن موافقة الفتاة أحد شروط الزواج، لذلك كلكم يرى في عقود القران، يقف كاتب المحكمة، ويذهب إلى الغرفة الثانية، ليسمع بأذنه موافقة الفتاة على تزويجها من الشاب الخاطب .

تمت الخطبة، وأذيع الخبر في مكة، فما كان من أهلها إلا أن باركوا هذه الخطبة بالثناء العاطر، والمدح الجميل للخاطب والمخطوبة، ولأهلها، وبادر شباب قريش يغبطون أبا العاص بهذه

القرابة الكريمة من محمد صلى الله عليه وسلم، الذي سيصبح له صهراً صالحاً، ويكون والد زوجته عما كريماً .

العم أب، والذي يقول دائماً، وقد قيل: لك آباء ثلاثة؛ أب أنجبك، وأب زوجك، وأب ذلك على الله، الأب الذي أنجب أبوك النسبي، والأب الذي زوجك هو والد زوجتك، رعاها إلى أن أصبحت بهذا السن، هذا أب، فكل شاب يسيء إلى عمه يتكسر لمبادئ الأخلاق .

لك أب أنجبك، وأب زوجك، وأب ذلك على الله، طبعاً الأب الأول ينتهي فضله بنهاية الحياة، والأب الثاني ينتهي فضله بنهاية الزواج، أما الأب الذي ذلك على الله ذلك على الجنة، فما دمت في الجنة ففضله مستمر، لذلك الإنسان عليه أن يسعى للدعوة إلى الله، فالخير الذي يأتي من الدعوة إلى الله لا يعلمه إلا الله .

ويتم عقد الزواج، ويستعد أهل الزوج لاستقبال الزوجة الكريمة، ويحين موعد الزواج، وتردد في أرجاء مكة أصداء العرس، وتُتحرر الذبائح، وتُقام الولائم فرحة وبهجة بهذا الزواج المبارك . ترون أنتم بأعينكم أن الزواج مشروع، لذلك يعلنه الناس، ويطلقون أبواق سياراتهم ، أما العلاقة المشبوهة فهذه وصمة عار في حق الإنسان .

لي صديق طرق بابه فجراً، فتح الباب، رأى شبة سلة، فيها طفل وُلد لتوه، لا يوجد أحد، أخذ هذا الطفل إلى دار التوليد، وضع في الحاضنة، ذكر لي هذه القصة، قلت: سبحان الله ، لو كان هذا الطفل من زواج شرعي، لفرح الأهل، ويقيمون الولائم، وتأتي التهاني، وتأتي الهدايا، لأنه جاء من طريق



مشروع، أما الطفل اللقيط فإنه يكون ثمرة لجريمة الزنا .

لذلك كم يوجد في الحاويات من أطفال ولدوا لتوهم؟ هذه الظاهرة تنتشر في بعض البلاد، لأن الزواج غير شرعي، ماذا يفعل بهذا الطفل؟ يُلقى في الحاوية، أما الطفل الذي يأتي من أم وأب، فيوضع في أجمل مكان بالغرفة، في سرير، وفي عناية فائقة .

وفي بيت الزوجية، تحل زينب مكرمة معززة، ويهنأ لها العيش في ظل زواج فاضل كريم . أحياناً الإنسان يطلب زوجة مؤمنة، فضل الإيمان على الجمال، فيها جمال، ولكن أقل مما كان يتمنى، يقول: أنا آثرت الدين، ألم يقل النبي الكريم:

((فعليك بذات الدين تربت يداك))

الكلام جيد، إلا أنه أحياناً يتبرم، وأحياناً يسمعها كلمات قاسية جداً .

أنا أقول لهذا الزوج: لو أبقيتها عند أهلها معززة مكرمة خير لك من أن تقول: أنا بطل، وسأخذ امرأة صالحة، هذه عند أهلها معززة مكرمة، أما حينما جئت بها إلى بيتك، وأسمعتها كلمات قاسية، فإن لم تكن أهلاً للزواج من فتاة مؤمنة، قد يكون شكلها أقل مما تتمنى، أنت لا تصلح لهذا العمل البطولي، فإذا آثر الإنسان دين فتاة، فينبغي أن لا يتكلم كلمة واحدة طوال حياته، ليكون أجره عند الله عظيماً.

طبعاً أبو العاص، فاز بهذه الزوجة الصالحة الكريمة، وفاز بالسعادة الزوجية التي وجدها في زينب، فكان كلما آن الأوان للسفر، يشد عليه الفراق، حتى كان كثيراً ما ينشد في سفره، وهو بعيداً عنها، صدق القائل:

ذكرت زينب لما ورقت أرم فقلت سقيا لشخص يسكن الحرم

بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعل سيثني بالذي علم

لقد منّ الله على أبي العاص بولدين، الأول علي بن أبي العاص، والثاني أمامة بنت أبي العاص، وهي التي قد تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها .

ما موقف زينب من دعوة أبيها، وما موقف زوجها من هذه الدعوة ؟

الآن دخلنا في تفاصيل حياة السيدة زينب الكبرى بنت النبي عليه الصلاة والسلام. لقد كانت تعلم زينب أنه سيكون لأبيها محمد صلى الله عليه وسلم شأن عظيم، من أين؟ علمت هذا من أخلاقه، من صفائه، من رحمته، من وفائه، من كرمه، لأنها ترى من أبيها من الصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، والصفاء النادر، والسمت الحسن الذي يختفي وراءه ينبوع الحكمة

المتفجرة على لسانه الصادق، وقوله الحق، وعمله الصالح، وأمانته الفذة، ونهجه المستقيم، حتى غدا بين رجال قريش، بل والعرب من خلفهم، غدا الرجل الأمثل، والأكمل والأعظم، فلا تسمع بصفة حميدة إلا وجدتها في أبيها، ولا بخلق كريم، أو سجية حسنة، إلا وقد عرفتها في أبيها، من حين وعت عليه أباً، يحنو عليها ويرعاها، هذا الخلق يؤهل أباه ليكون شخصاً عظيماً، لذلك لم تُفاجأ زينب بخبر الوحي .



ذات صباح سعت زينب مبكرة إلى بيت أبيها، لأن أبا العاص كان على سفر، فالتقت عند الباب بأُمها، عائدة من زيارة عاجلة لابن عمها ورقة بن نوفل، ولم يسبق لزينب أن رأت أمها على مثل هذه الحالة المضطربة، واللهفة، والاهتمام، والاشتغال، وقد راعها أن قد مرت بها، فلم تكذب تراها، بل اندفعت لا تلوي على شيء نحو مخدع زوجها، حيث تلبثت .

هناك فترة غير قصيرة قبل أن تخرج إلى بناتها، وقد عاودها هدوءها، وأصغت زينب إلى أمها، وهي تحدثها حديثاً عجباً عن نزول الوحي على أبيها محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يتعبد بغار حراء، فأخذت بما سمعت، حتى لم تحر جواباً، ذلك أن الأمر كان من الخطر والجلال، حيث قصر عقلها عن إدراكه، وأعيانها أن تبلغ مداه، ولبثت زينب في مكانها ساكنة واجمة، حتى ردها إلى يقظتها، صوت أختها فاطمة .

تقول فاطمة:

((أو ما يسرك يا أختي أنك بنت نبي هذه الأمة؟ أجابت: أجل والله يا فاطمة ، وأي فتاة لا يزيدنا ذلك الشرف الذي ما بعده شرف، لكنه الذي سمعت، وسمعت من قول خالي ورقة، قال: لِيُكذِّبَنَّ أبي، وليؤذِّنَ أبي، وليُخرَجَنَّ أبي، وليقاتلَنَّ أبي .

-لما التجأت السيدة خديجة إلى ابن عمها ورقة، تحدثه بما جرى للنبي من نزول الوحي، قال لها:

((ليكذبن، وليؤذنين، وليخرجن، وليقاتلن))

فكرت فاطمة ملياً، وقد عزَّ عليها أن يؤذى أبوها، ثم رفعت وجهها، وقالت لأختها: هو والله كما قالت أُمِّي لأبي: الله يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا بن العم، واثبت، فو الله لا يخزيك الله أبداً، إنك

لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق .

-الآن ما علاقتنا بهذا النص؟ الواحد منكم إذا كان صادقاً، عفيفاً، أميناً، يؤدي عباداته كاملة، وأنا أقول لكم بالقياس المتواضع: والله لا يخزيك الله أبداً .

إذا كنت مع الله صادقاً، أميناً، عفيفاً، تتحرى الحلال، تضبط أعضائك، تضبط حواسك، تضبط بيتك، إذا كنت شاباً مستقيماً أبشراً، فو الله ما يخزيك الله أبداً، هذا علاقتنا بهذا النص - .
وابتسمت زينب، وكذلك فعلت فاطمة، وإن أحست كلتاها أن لهذا الأمر ما بعده، وعاد زوجها أبو العاص، وملاً



سمعته شائعات المشركين، قد تناقلتها الركبان، عن ظهور محمد بن عبد الله بدين جديد .

أخذ ابنته زينب أن محمداً نبي، رجع من السفر، فسمع بالنبوة والوحي، فاستقبلته وأخبرته بالنبأ اليقين، ولكنه خيب أملها، حين ردد مزاعم المشركين، ووقفت أمامه قبل أن يتم كلامه، وقالت: والله ما كنت لأكذب أبي، وإنه والله لكما، عرفت أنت وقومك، إنه صادق أمين، أي أن أبي نبي، صارت مشكلة بينها وبين زوجها .

ثم قالت: والله إنني قد آمنت بما جاء وأسلمت، وكذلك آمنت أمي وأخواتي، وعلي بن عم أبي، وأبو بكر، وأسلم من قومك ابن عمك عثمان، وابن خالك الزبير بن العوام بن خويلد، وكما آمن به وصدقه ابن خالك ورقة بن نوفل، الذي توفاه الله منذ عهد قريب، فليس لك إلا أن تؤمن وتسلم، فلم يجبه بشيء، ثم خرج من بيتها، وتوجه إلى الكعبة .

ولما عاد قال لها: لقيت أباك اليوم في الكعبة، ودعاني إلى الإسلام، ثم لم يزد، وكانت ملامح وجهه من الوجوم، وترنح صوته ما يغني زينب عن سؤاله: بم أجبتة؟ -يعني هل أسلمت؟ لم تسأله؟ وضعه يبين أنه لم يسلم - .

وقد قال لها ذات يوم، وهي تدعوه إلى الإيمان والإسلام: والله ما أبوك عندي بمتهم، وليس أحب إلي من أن أسلك معك يا حبيبة في شعب واحد، ولكنني أكره أن يُقال: إن زوجك خذل قومه، وكفر بأبائه إرضاء لامراته .

-أخذها عصبية- وتمثل بموقف أبي طالب، وإن محمداً صلى الله عليه وسلم عنده أحب إليه من والده، لم يساوره في صدقه أدنى ريب، فتندت عيناها بالدموع حزناً عليه، وإن كانت لترجو اليوم الذي يخلع عن كاهله، رجز الجاهلية وشركها))

إنَّ من سعادة الإنسان، أن يكون هو مؤمناً، وأن تكون زوجته مؤمنة، ومن سعادة المؤمنة، أن تكون هي مؤمنة، وأن يكون زوجها مؤمناً، ولهذه القصة تنمة إن شاء الله، نأخذها في درس قادم.

والحمد لله رب العالمين

السيرة- سيرة الصحابييات الجليلات - بنات النبي الكريم -السيدة زينب الكبرى - الدرس (٢)-
(٢) : سيرة السيدة زينب الكبرى

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٥-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هي الأحداث التي جرت للنبي بعد وفاة زوجته وعمه

ماذا صنع النبي، ولماذا لم تهاجر زينب مع أخوتها إلى دار الهجرة ؟

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الرابع
والعشرين من دروس سير الصحابييات
الجليلات رضوان الله تعالى عليهن
أجمعين، ومع الصحابية الجليلة؛ السيدة
زينب بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم .



الحزن من خصائص الحياة الدنيا

في عام الحزن: هلكت السيدة خديجة

رضي الله عنها، وأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، كُتِبَ السيرة سمّوا هذا العام: عام
الحزن، والحزن خصائص الحياة الدنيا،

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح

لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عُقبى))



بالحزن يمتحن الإنسان

الحزن خلّاق، الحزن يفجّر الطاقات،
الحزن يكشف القيم، الحزاني في كنف
الله،

((إن الله تعالى يحب كل قلب حزين))

كتاب سيرة الصحابييات الجليلات - بنات النبي

الإنسان إذا قرأ قوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٥٥-١٥٧]

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٥٥-١٥٧]

أيها الأخوة، الإنسان بالحزن يُكشف معدنه، بالحزن يظهر إيمانه، بالحزن ينكشف صبره ،
بالحزن تتفجر طاقاته، بالحزن يتقرب من ربه .

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق، وحبیب الحق، هو قدوة لنا، في عام واحد؛
توفيت زوجته السيدة خديجة، السيدة خديجة عاشت معه خمساً وعشرين سنة، خمس عشرة سنة
قبل البعثة، وعشر سنوات بعد البعثة، كانت خلالها المرأة الطاهرة النقية، الزوجة الوفية
المخلصة، التي بذلت في سبيل الدعوة كل غالٍ ورخيص، بذلت كل ما تملك؛ من ثروة مادية،
ومكانة اجتماعية، وهيبة معنوية، وشرفٍ شامخ، وعزٍ وبذخ، كانت من خلال كل ذلك، تقدم للنبي
عليه الصلاة والسلام العطاء كل العطاء من قلبها ونفسها، وهي راضية .

السيدة خديجة مثال الزوجة التي تقف وراء زوجها معاونته، داعمةً، صابرةً، لذلك عليه الصلاة
والسلام وفاءً منه لها، حينما فتح مكة قال:

((انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة))

ونصب على قبرها لواء النصر، لأنها لم تكحل عينيها بفرحة النصر، فحينما نصب هذا اللواء
على قبرها، ونصب خيمة إلى جانب قبرها إشعاراً بأن لها فضلاً على هذه الدعوة، قال تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

[سورة النصر الآية: ١-٣]

لما هلك أبو طالب، نالت قريش من النبي عليه الصلاة والسلام من الأذى ما لم تكن تطمع به في
حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، وبالغ في إيذاء النبي، فدخل عليه الصلاة
والسلام بيته، فقامت إليه إحدى بناته وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها:

((لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((ما نالت مني قريشاً شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب))

النبي قدوة، ذاق الفقر، دخل بيته، فقال:

((هل عندكم شيء؟ فقالوا: لا، ولا

شيء، قال: فإني صائم))

ذاق الغنى؛

((لمن هذا الوادي من الغنم يا رسول

الله؟ قال: هو لك، قال: أتتهزأ بي؟ قال:

والله هو لك))

ذاق النصر في فتح مكة، دخلها

مطأطئ الرأس، متواضعاً لله عز وجل،

ذاق القهر في الطائف،



((إن لم تكن ساخطاً علي فلا أبالي))

ذاق المرض، ذاق الصحة، ذاق موت الولد،

((إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَكَمَا نَقُولُ إِنَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ

لَمَحْزُونُونَ))

[أخرجه البخاري عن أنس في الصحيح]

وذاق موت الزوجة، وذاق تطليق البنات، طُلِّقت بنتاه مبالغةً في إيذائه، وذاق الهجرة، وذاق

المرض، وذاق الإخراج من بلده، كل شيء ذاقه، ووقف الموقف الكامل من كل الظروف الصعبة

التي مرَّ بها، لذلك كان قدوةً لنا وأسوةً، وما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وما لا يتم الواجب

إلا به فهو واجب، وما تتم السنة إلا به فهو سنة، وحينما قال الله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٢١]

معرفة سيرة النبي العملية فرض عين، لنحقق هذا الأمر بأن يكون النبي أسوةً حسنةً .



معرفة سيرة النبي فرض عين كي نتخذة أسوة

أصبحت زينب رضي الله عنها ذات يوم، ومكة من أدناها إلى أقصاها، تتحدث عن مطاردة قريش لأبيها النبي عليه الصلاة والسلام، وولاء البنت لأبيها معروف عند كل أب .

النبي عليه الصلاة والسلام ترك مكة مهاجراً إلى يثرب، وليس معه سوى صاحبه الصديق أبي بكر رضي الله عنه، زينب كانت مضطربة؛ خائفة

على أبيها أياماً وأياماً، حتى جاءها خبر وصوله إلى يثرب، فزال عنها كربها، وسرّت بسلامة أبيها صلى الله عليه وسلّم، ووصله إلى دار مأمنه في الهجرة . ولم تمض إلا أشهر معدودات حتى أرسل النبي عليه الصلاة والسلام إلى أختها فاطمة وأم كلثوم من يحملها إليه في دار الهجرة

وكانت رقية قد هاجرت كذلك من قبل، وبقيت زينب وحدها في مكة مع زوجها أبي العاص بن الربيع الذي لم يسلم، إذ لم يكن الإسلام قد فرق بينهما، أي لم ينزل الحكم الشرعي الذي يفرق بين الزوجة المسلمة والزوج الكافر، فبقيت في مكة، وقد غادرها الأهل، وتنتظر وقت اللحاق بأبيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم في دار الهجرة .



بقيت زينب وحدها في مكة وقد غادرها الأهل

هل حققت قريش مرادها من النبي في استئصاله من دار الهجرة، وهل كان أبو العاص من جملة الأسرى الذين كانوا بين يدي النبي، وبماذا عهد له النبي؟

أيها الأخوة، لما علمت زينب لما حصل لأبي سفيان، وتعرض قافلته من قبل الصحابة، ورأت قريش أن تقاوم النبي عليه الصلاة والسلام، ولم تمض إلا أيام قليلة حتى خرجت قريش بخيلها وخيلائها، تقصد النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه، نافية استئصالهم من دار هجرتهم، غير أن قريش لم تصل إلى قصدتها، وذاقت كؤوس المنايا في بدر، وكانت بدر تلطخاً لها في الوحل، وأعز الله الإيمان والإسلام، وخذل أهل الكفر، والشرك، والطغيان، وانتقل خبر الانتصار العظيم قبل وصول الفلول المنهزمة إلى مكة .

طبعاً فرحت زينب فرحاً شديداً بانتصار أبيها النبي وأصحابه، حتى قامت لله عزَّ وجلَّ شاكراً لهذا النصر المؤزَّر .

حين جاءت فلول الجيش مهزومةً، علمت أن زوجها كان من جملة الأسرى، تصور زينب في مكة، غافلها زوجها، وانضمَّ إلى جيشه، ليحارب النبي وهو عمه، وقع أسيراً، وقد كنت ذكرت لكم من قبل أن النبي عليه الصلاة والسلام، حينما استعرض الأسرى، مرَّ به، فقال عليه الصلاة والسلام وفاءً منه بحق القرابة، قال:

((والله ما ذمناه صهراً))



زوج زينب أبو العاص وقع أسيراً بأيدي المسلمين

هو الآن مقاتل ومشارك، أما كزوج ما ذمناه، الدليل أن زوجي ابنتيه اللذين طلقاً زوجتيهما، أبو العاص لم يفعل ما فعلاه، وأبى أن يطلق زوجته، مع أنه جاءه ضغطٌ شديد، ليطلق زوجته نكايَةً بالنبي عليه الصلاة والسلام، لكنه لم يفعل .

أنا سمعت قصة: أنه ذات مرّة في الجاهلية، جاء أبو جهل إلى بيت النبي قبل البعثة، فسأل ابنته فاطمة: أين أبوك؟ قالت: لا أدري، فلطمها، بلغ أبا سفيان ذلك، فحمل فاطمة رضي الله عنها، واقتصَّ من أبي جهل إكراماً لها، فلما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحدث، رفع يديه إلى السماء، وقال:

((يا رب لا تتسها لأبي سفيان))

النبي كان وفي إلى درجة مذهلة، في أحد الصحابة نزع عن كتفه ريشة، رفع النبي يديه عليه الصلاة والسلام، وقال:

((جزاك الله خيراً))

فأجمل صفة بالإنسان الوفاء، صدق القائل:



الوفاء من أجمل صفات النبي الكريم

أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتَهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

أجمل صفة في النبي عليه الصلاة والسلام والوفاء، هذا الذي ارتكب معه خيانة عظيمة، خيانة عظيمة في كل المقاييس؛ القديمة، والحديثة، والدينية، والوطنية، حاطب بن أبي بلتعة، أرسل كتاباً إلى قريش:

((أَنْ مُحَمَّدًا سَيَغْزُوكُمْ فَخُذُوا حِذْرَكُمْ، -خِيَانَةَ عَظْمِي- فَلَمَّا قَالَ لَهُ سَيَدُنَا عَمْرٌ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمَنَافِقِ، قَالَ: لَا يَا عَمْرُ، إِنَّهُ شَهِيدٌ بَدْرًا، -لَمْ يَنْسَ لَهُ شُهُودَ بَدْرٍ- وَقَالَ: تَعَالَى يَا حَاطِبُ، لَمْ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَرْتُ وَلَا ارْتَدَدْتُ، كُنْتُ لَصِيقًا فِي قَرِيشٍ، أُرِدْتُ أَنْ أَجْعَلَ مِنْ هَذَا، أَنْ يَكُونَ هَذَا يَدًا لِي بِيضَاءِ عِنْدَهُمْ، أَحْمِي بِهَا أَوْلَادِي وَأَهْلِي وَمَالِي، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

((إِنِّي صَدَقْتُهُ فَصَدِّقُوهُ، وَلَا تَقُولُوا فِيهِ إِلَّا خَيْرًا))

وفاء النبي عليه الصلاة والسلام شيء لا يوصف، وفاؤه لمن أَرْضَعْتَهُ، وفاؤه لمن رَبَّتَهُ، وفاؤه لكل من ساهم، وقدم له شيء، فالله عز وجل يقول:

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٣٧]

فأسوأ صفة في الإنسان اللؤم، اللؤم أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يردّه، لذلك: يا رب لا تجعل حوائجنا إلا إليك .

طبعاً يبدو أن أهل أبي العاص بن الربيع أغنياء، لكن زينب تحب زوجها، وزوجها لم يُسلم بعد، فهذا الحب بين الزوجين هو من خلق الله، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[سورة الروم الآية: ٢١]

الحب بين الزوجين من خلق الله، قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[سورة الروم الآية: ٢١]



زوجها مأسور عند أبيها، وأهل زوجها أغنياء، مستعدون أن يقدموا أعلى فدية لإنقاذ ابنهم، ماذا فعلت زينب مع زوجها الذي لم يرضَ أن يسلم، وبقي على كفره؟ أرادت أن تلقنه درساً إيجابياً لا درساً سلبياً، درساً يحرك مشاعره، أرسلت في فدائه بشيء ثمين جداً؛ قلادة قدّمها النبي عليه الصلاة والسلام لأُمها خديجة يوم عرسها،

وخديجة قدّمت هذه القلادة لابنتها زينب، وزينب أرسلت هذه القلادة لأبيها، كي تكون فداءً لزوجها .

النبي عليه الصلاة والسلام، تفقد الأسرى واحداً واحداً، وإذا به يصادف صهره أبا العاص، فينظر إليه النبي عليه الصلاة والسلام نظرة الرفق والأسى عليه .



فأعلم أب؛ لك أب أنجبك، ولك أب زوجك، ولك أب ذلك على الله، الأب الذي أنجبك هو الأب النسبي، أما الأب الذي زوجك؛ أي أن هذه الزوجة ربّأها

لك عمك ثمانية عشر عاماً، كم مرة عالجه؟ وكم مرة سهر من أجلها؟ وكم مرة اعتنى بها؟ وكم مرة دفعها إليها الدراهم؟ وكم مرة جاء لها بكل حاجاتها؟ وبعد أن نضجت، وأصبحت فتاة ملاءم السمع والبصر، ينتكّر الزوج لعمه، والله هذا منتهى اللؤم، عمك أي والد زوجتك، والدك من بعض المعاني .

فلما استعرض النبي الأسرى فإذا بصهره بين الأسرى، فطأ أبو العاص رأسه حياءً وخجلاً، وهو لا يدري ما هو صانع فيه، وقال:

((والله ما ذمناه صهراً))

روى أبو إسحاق عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها، كانت خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، قالت: فلما رآها النبي عليه الصلاة والسلام رق لها رقّةً شديدةً وبكى، وقال: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أُسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا، فَقَالُوا: نَعَمْ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

أي إذا شئتم، ترك أمر ابنته لأصحابه، ترك أمر فداء صهره لأصحابه، هذا منتهى التواضع، منتهى الشعور أنه واحدٌ من أصحابه، والرأي رأي الجميع، قال:

((إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أُسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأُطْلِقُوهُ،
وردوا عليه الذي لها))

وكان عليه الصلاة والسلام قد أخذ عليه عهداً أن يُخَلِّي سبيل زينب إليه، لأنه هو كافر بقي على كفره، ونزل التشريع أنه لا يجوز لامرأة مسلمة أن تكون تحت كافر، أخذ عليه العهد أن يخلي سبيل زينب إليه .

من هما الصحابيَّان اللذان كفهما النبي أن يصحبا زينب إليه، ومن أوصلها إليهما، وماذا جرى معها في طريقها إليهما، وماذا فعل النبي حينما علم بذلك، وهل سر النبي بمجيئها إليه ؟ أيها الأخوة، ولما خرج أبو العاص إلى مكة، وفى بعده، وخلي سبيل زوجته لتهاجر إلى أبيها، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ عَلَيْهِ أَوْ وَعَدَهُ، أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ:

((كُونَا بِيْطْنِ يَأْجَجَ، حَتَّى تَمُرَّ بِكُمْ زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاها، حَتَّى تَأْتِيَا بِهَا))

فخرجا مكانهما بعد بدرٍ بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة، أمرها بالحقق بأبيها وفاءً لعده، كان أخلاقياً، إنه مشرك، لكنه أخلاقي .

فلما فرغت بنت رسول الله من جهازها، قدّم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها، كلّفوا أخوا زوجها أن يأخذها من بيتها إلى بعد ثمانية أميال من مكة، لتذهب مع الصحابيَّين إلى رسول الله، قدّما لها بعيراً ركبته، وأخذ أخ زوجها قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يفود بها على هودج لها، وأخذت زينب، تنتظر إلى جبال مكة وهضابها مودعةً لها، ولعلّها لا تعود إليها أبداً.



النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أيام الربيع، جاء رجل من مكة، وصف له جبال مكة الخضراء في الربيع، فبكى النبي شوقاً لمكة، وقال:

((يا أُصَيْلُ لا تشوقنا))

في الحجة الأخيرة، كان ثمة أمطار كثيرة، أنا أول مرة أرى جبال مكة خضراء، والطريق بين مكة والمدينة

أخضر، طبعاً كان الحج في أيام الربيع عقب موسم أمطار جيد، فالبلاد في الربيع جميلة جداً، صدق القائل:

دنيا معاشٍ للورى حتى إذا حلَّ الربيع فإنما هي منظرٌ

فالنبي انهمرت دمعاً على خذه، وقال:

((يا أُصَيْلُ لا تشوقنا))

الهجرة صعبة، إذا الإنسان ترك بلده، واقتلع من جذوره، عندما خرج النبي من مكة، قال:

((اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيَّ، فَاسْكِنِ فِي أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ))

فقالوا: مكة أحب البلاد إلى النبي، والمدينة أحب البلاد إلى الله .

ما الذي حصل؟ ودّعت جبال مكة، وكانت ترجو أن يخرج معها زوجها مسلماً مهاجراً إلى الله تعالى ورسوله، ولكن خيب رجاءها، وما أرادت أن تمنّ عليه في سعيها عند أبيها بإطلاق سراحه.

هناك امرأة إذا كانت أغنى من زوجها قليلاً، تقول له: لولاي ما صرت، إذا كان ساكناً في بيتها تقول له: هذا بيتي، أنت ليس لك بيت، المرأة غير المؤمنة، لو تفوّقت على زوجها قليلاً، لمألت سمعه منةً وكلاماً لا يُحتمل، فمع أنها هي السبب في إطلاق سراحه، وقدمت قِلاذتها الثمينة، وأطلق النبي سراحه إكراماً لابنته، ولم تمنّ عليه، وبقي مشركاً، كانت تتمنى أن تذهب إلى المدينة مع زوجها، ليلتئم الشمل .

يبدو أن أهل مكة، علموا أن بنت رسول الله، ستلتحق بأبيها، وعقب معركة بدر، والدماء لا تزال ساخنة، والجراح عميقة، والألم شديد، فخرجوا في طلبها، حتى أدركوها بذوي طوى، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود، فروّعها بالرمح، وهي في هودجها، وكانت حاملاً، فلما ريعت، طرحت ذا بطنها، وبرك حموها كنانة، ونثر كنانته، ثم قال:

والله لا يدنو مني رجلٌ إلا وضعت فيه سهماً، فتباعد الناس عنه، وأتى أبو سفيان، وكان حكيماً في جُلّة من قريش، فقال:

((أبها الرجل، كفّ عنا نبلك حتى نُكَلِّمك، فكفّ، فقال أبو سفيان: إنك لم تصب، -أي ما أصبت في هذا العمل- خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا، أن ذلك ذلٌ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن هذا منا ضعفٌ ووهنٌ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة، وما لنا من ثأرٍ نثاره منها، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدّث الناس أن قد رددناها، فسألها سراً، وألحقها بأبيها، ففعل .

أقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات، خرج بها ليلاً، حتى أسلماها لزيد بن حارثة وصاحبه، فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما وصلت زينت إلى أبيها رسول الله، استقبلها استقبلاً حاراً، وهتف الناس بهجةً بوصولها بسلام، وما إن استراحت من عناء السفر، أخبرت أباها بما فعلها الرهط من قريش معها، -وفي رواية:

((أنها أصيبت بجرح من رمحه فنزفت وألقت حملها))

أرسل النبي عليه الصلاة والسلام سريةً، لمعاقبة هبّار وصاحبه، وتقيم زينب بقرب النبي عليه الصلاة والسلام، وأنست بأخواتها في المدينة))

إليك قصة إسلام أبي العاص زوج زينب بنت النبي :

أيها الأخوة، حتى كان العام السادس من الهجرة إلى أن وقع أبو العاص في أسر الصحابة، بعد أن تعرّضت قافلته بسبعين ومئة من الصحابة، فأخذوا قافلته، وأسروا أناساً كثيرين منهم أبو العاص، فجاؤوا بهم إلى المدينة .

أبو العاص له تجارة من الشام إلى مكة، خرج مئة وسبعون من الصحابة الكرام، طبعاً في حالة حرب بينهما، أسروا هذه القافلة، وأخذوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، لكن أبا العاص فر منهم، واستجار بزوجه زينب .

طبعاً دخلت زينب، أطلت برأسها من إحدى حُجَر النبي على أصحاب رسول الله، وفيهم النبي يصلي فيهم، وقالت:

((إني أجرت أبا العاص، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أنا أسمع معكم -ليس هناك اتفاق بينهم- والنبي عليه الصلاة والسلام أمضى جوار ابنته زينب لأبي العاص .

-الصحابة أُنْعَمَ، إذا أسلمت، هذه القافلة الكبيرة جداً، تصبح غنائم حرب، هي لقريش، الأموال أموال استثمار، إن صحَّ التعبير، فهذه أموال قريش - فقالوا: إذا أسلمت تتقلب هذه البضاعة كلها غنائم، -فقال أبو العاص كلمة رائعة- قال: والله ما أبدأ إسلامي بهذا، فقال عليه الصلاة والسلام: إن هذا الرجل منا قد علمتم أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم، فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم، فأنتم أحق به، فقالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، فردوه عليه .

حتى إن الرجل ليأتي بالدلو، ويأتي الرجل بالشنّة، -وهو السقاء البالي- رجعت له كل أمواله، ثم حمل هذا إلى مكة، فأدى إلى كل ذي حق حقه، ومن كان أضع معه بضاعةً، أعطاه بضاعته، والذي أعطاه بضاعةً أعطاه بضاعةً، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيّاً كريماً، قال: إذاً: فأنا أشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله .

-متى وقت إسلامه؟ بعد أن ردَّ الأموال إلى أصحابها، أعلن إسلامه، لم أعلن إسلامه؟ لأنه تلقى من عمه معاملة طيبة جداً- .

قال: والله ما منعتني من أن أسلم، وأنا عنده، إلا مخافة أن تظنوا، إنما أردت أن أكل أموالكم، فلما أدها الله إليكم، وفرغت منها، أسلمت .

ثم خرج حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلّم، وكان ذلك سنة سبع، فاستقبله عليه الصلاة والسلام استقبال المهاجرين إلى الله تعالى ورسوله، وردَّ عليه صلى الله عليه وسلّم زينب على النكاح الأول، لم يحدث شيئاً من شرطٍ أو غيره، -هي زوجته وهو زوجها، وانتهى الأمر .

قصة مؤثرة جداً، فيها أحكام، فيها كمال، فيها وفاء، فيها رحمة، فيها إحسان، فيها عواطف زوجية، فيها عواطف أسرية، فيها موقف عم، موقف أب، موقف زوج، موقف زوجة-.

وبهذا تحقّق للسيدة زينب رجاؤها بإسلام زوجها أبو العاص بن الربيع، ويعود الحبيبان الكريمان إلى الحياة الزوجية الآمنة المطمئنة، ويجتمع الشمل بعد فراق طويل))

لذلك قالوا:

((مِنْ أَفْضَلِ الشَّفَاعَةِ أَنْ يُشَفَّعَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ فِي النِّكَاحِ))

وأنا أقول لكم: لا يقل عن هذا العمل،
 أن تشفع بين اثنين في نكاح، وأن توفّق
 بين زوجين بينهما مشكلة، بينهما
 قطيعة، بينهما بغضاء، بينهما عداوة،
 إذا وفّقت بين الزوجين أسعدتهما ،
 وأسعدت أولادهما، لذلك هذا الذي
 ينسحب من كل عمل صالح، إنسان ما
 عرف سرّ وجوده .



مرّة قلت لكم: أحد أخواننا الكرام، شكّا زوجته إلى أخيها، فقال له: طلقها، كلمة واحدة، الله عزّ وجل قال:

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾

[سورة النساء الآية: ٣٥]

إنّ الله عزّ وجل يريد الإصلاح، يريد التوفيق، لذلك الآية الكريمة الدقيقة:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية: ١]

المؤمن أحد أهم أعماله؛ أنه يصلح دائماً بين المتخاصمين، ولاسيما إذا كانا زوجين .

كم هي مدة الفترة التي عاشها أبو العاص مع زوجته زينب بعد إسلامه ؟

أيها الأخوة، وبعد مضي عامٍ واحد من اجتماع شمل الزوجين اللذين جمع بينهما الإسلام والإيمان، والهجرة، كان الرحيل المهيب، فقد توفّيت زينب، بعدما عاش زوجها معها عاماً واحداً. أيها الأخوة، ثمة عمر قصير، لكنه غني، وهناك عمر طويل، لكنه فقير، هناك علماء أجلاء عاشوا أقل من خمسين سنة، الذي فتح الصين، وأوصل الإسلام إلى هناك، مات في السادسة والثلاثين، والشافعي مات دون الخمسين، والإمام النووي مات دون الخمسين، أي في السابعة والأربعين، ولكنه ترك أعمالاً، لا يعلمها إلا الله، فالعبرة بغنى العمر لا بامتداده، وأتمن عمر على الإطلاق عمر النبي، لذلك أقسم الله جلّ جلاله بهذا العمر، فقال:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: ٧٢]

والإنسان كلما ازداد إيمانه، وأجرى الله على يديه الخير، يزداد عمره قيمةً، وكل إنسان له عمر، العبرة بمحتوى العمر لا بامتداده، الامتداد ليس له قيمة أبداً، أتفه شيء في العمر امتداده، وأثمن شيء في العمر مضمونه؛ ماذا فعل؟ .

سيدنا الصديق، يعد المؤسس الثاني لهذا الدين العظيم، فقد ارتدت العرب بعد وفاة النبي، من الذي ثبتّ كيان هذا الدين؟ سيدنا الصديق .

سيدنا عمر فتوحاته في مصر والشام، فكل إنسان ماذا ترك؟ هذا سؤال كبير، اسأل نفسك هذا السؤال: ماذا قدّمت للإسلام؟ قدمت علماً، قدمت عملاً، قدمت مشروعاً خيرياً، قدمت منهجاً، أصلحت ذات البين، حللت مشكلة لمسلمين، ماذا قدمت؟ حجمك عند الله بحجم عملك الصالح .

فالسيدة زينب، أسرعت في إيمانها

بأبيها، وتمنّت من كل قلبها، لو آمن معها زوجها



ولكن الله في النهاية، حقّق لها هذا الأمل، وهذا معنى ثانٍ، واقعك الآن سيء، لك طموحات ما تحقّقت، من يدريك أن الله سبحانه وتعالى يمكن في المستقبل أن يحقق لك طموحك؟ كانت أعلى أمنية لها، أن ترى زوجها في

المدينة معها، جاءت وحدها إلى المدينة، زوجها أرجع الأموال لأصحابها، ثم أعلن إسلامه، والتحق بزوجته، فحقّق الله لها حلمها.

الشيء الثاني: الأخلاقي لا تستطيع أن تأسره إلا بالأخلاق، فالنبي عرف أن هذا الإنسان أخلاقي، لكنه مشرك، أثنى عليه لما كان أسيراً، أطلقه من إيساره، قبل إجارة ابنته له، ثم ردّ له أمواله، هذه الأعمال الطيبة تراكمت حتى حملته على أن يُسلم .

فأحياناً ألف عمل ذكي، مخلص، حكيم، تشد إنساناً لك، تصرف واحد أحمق يبعده عنك، الإنسان أحياناً يخسر أخاه بكلمة، ويربحة بجهد كبير، بجهد دؤوب، وبأعمال متلاحقة يربحه، ويخسره بكلمة .

فالإنسان يكون دقيقاً في كلامه، دقيقاً في معاملته، يدرس كل تصرفاته، وإلا يخسر أصدقاءه بثمن قليل .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علّمنا، وأن يلهمنا الخير .

والحمد لله رب العالمين

السيرة- سيرة الصحابييات الجليلات – بنات النبي الكريم -السيدة أم كلثوم : سيرة السيدة أم كلثوم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٦-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحة مختصرة عن حياة أم كلثوم بنت النبي :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس السادس والعشرين من سير الصحابييات الجليلات رضوان الله تعالى عليهن أجمعين، والصحابية اليوم هي الابنة الثالثة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي أم كلثوم، ولدت هذه الابنة الطاهرة بعد رقية، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها .
أيها الأخوة، قبل المضي في الحديث عن هذه الابنة الطاهرة، يجب أن نعلم هذه الحقيقة، حينما قال الله عز وجل:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾

[سورة البلد الآية: ١-٣]

نظام الأبوة، ونظام البنوة، أن ينحدر
البشر من آباء وأمهات، وأن يودع الله
في الآباء رحمة تفوق كل تصور، وأن
تكون هذه العلاقة علاقة مدهشة، علاقة
الأب بابنه، وعلاقة الأم بابنها، وعلاقة
الابن بأبيه، والابن بأمه، هذه العلاقة
تعرفنا بالله عز وجل، تعرفنا برحمة الله



الله أودع في الآباء رحمة تفوق التصور

في حياة الإنسان إنسان واحد، يتمنى أن يكون خيراً منه، إنه أبوه، لا يوجد أب على وجه الأرض يحسد ابنه، لو كان الأب مستخدماً وابنُه وزيراً يفتخر به، الأب الفقير يتمنى أن يكون ابنه غنياً، الأب غير المتعلم يتمنى لابنه أن يكون أعلم العلماء، الأب المستضعف يتمنى أن يكون ابنه أقوى الأقوياء، والأب أحياناً، وفي أغلب الأحيان، وفي بعض الأحيان لا يحتاج إلى ابنه، لناخذ مثلاً: أب غني وقوي، ولا يحتاج إلى ابنه إطلاقاً، لا حاجة مادية ولا معنوية، ومع ذلك لا يسعد الأب إلا أن يكون ابنه في بحبوحة، وفي كفاية، وفي سعادة، وفي استقرار، وفي سمعة طيبة، إذاً: نظام الأبوة يعرفنا بالله عز وجل .



أيها الأخوة، قلب الأم وحده يعرفك بالله، تتعب لتستريح، تشقى لتسعد، تجوع لتشبع، تعرى لتلبس، الأم أحياناً تحرم نفسها أطيب الطعام، وتطعمه ابنها، إذا كانت رحمة الأمهات هكذا، فكيف رحمة خالق الأرض والسموات؟ قال تعالى:

رحمة الخالق بعباده أشد من رحمة الأم بأولادها

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٤]

أن تعرف الله، أن تعرف رحمته، أنه خلق الخلق ليسعدهم، خلقهم لجنة عرضها السموات والأرض، إذا ساق لهم بعض الشدائد من أجل أن يعالجهم، لا أنه جعل الحياة الدنيا متعبة هكذا، قال تعالى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾

[سورة البلد الآية: ١-٣]

يعني من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله، نظام الأبوة .

فابنة النبي عليه الصلاة والسلام السيدة فاطمة حينما بُشِّر بها، بعض الصحابة ما كانوا مرتاحين لهذه البشارة، فلما نظر إليهم، قال عليه الصلاة والسلام:

((ريحانة أشمها، وعلى الله رزقها))

وهناك بعض الروايات:

((أنه ضمها وشمها، وقال: ريحانة

أشمها، وعلى الله رزقها))

وعن عبد الله بن الزبير:



ريحانة أشمها وعلى الله رزقها

((أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْدِنِي مَا أَدَاهَا، وَيُنْصِبُنِي مَا أَنْصَبَهَا))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وهذه السيدة أم كلثوم، هذه أيضاً ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني ما الذي يخفف متاع الحياة؟ الأسرة، أتمنى من كل أخ أن يحكم بناء أسرته؛ لأنه مهما تكن الحياة قاسية، مهما تكن متعبة، إذا دخل الإنسان إلى بيته المتماسك، الذي فيه ود، الذي فيه حب، والذي فيه تضحية، والذي فيه مؤثره، والذي فيه تقدير، إذا دخل إلى بيته، نسي كل متاع الدنيا، فإذا كان البيت جحيماً، إذا كان البيت مشحوناً بالبغضاء، بالكراهية، بالمنافسة، بإزعاج الطرف الآخر، هذا بيت قطعة من الجحيم، الإنسان يفر من متاع الحياة إلى بيته



فإذا كان بيته جحيم إلى أين يذهب؟ .
أعجب أشد العجب من إنسان لا يقيم قيمة للود الزوجي، للود بين أفراد الأسرة، بالابتسامة، بالسلام، بالدعابة، بالهدية، بغض البصر، بالمسامحة، تنمو العلاقات، أما بالتدقيق والمعاينة، والانتقاد، والسخرية، تنمو الأحقاد، وإذا أردت إن صح التعبير التصميم الإلهي للأسرة:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الروم الآية: ٢١]

فإن لم تكن هذه المودة والرحمة بين الزوجين، فالحالة مرضية جداً، وتقتضي المعالجة .

فهذه السيدة أم كلثوم يسميها بعض الخطباء: كوكب الإسلام، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمها خديجة، أم المؤمنين الكبرى رضي الله تعالى عنها، ولدت بعد رقية، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها .



ماذا قال الله عز وجل عن امرأة نوح وامرأة لوط؟ قال:

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾

[سورة التحريم الآية: ١٠]

إياك أن تفكر أنهما خانتا زوجيهما خيانة فراش، أبداً، بل خيانة دعوة، بالمقابل أسعد شيء للزوج؛ أن تكون زوجته، وأولاده، وبناته على ولاء له، شيء جميل جداً، يعني أحياناً الزوجة، مع مضي الزمن تمل، أما إذا كانت الزوجة، لها ولاء تجاه زوجها، لها مشاركة، لها دعم، لها مساندة، هذه ليست زوجة فقط، إنها زوجة وصديقة، زوجة ورفيقة، زوجة وزميلة .



الزوجة الوفية تكون صديقة زوجها ورفيقة دربه

أقول لكم: الزوج السعيد هو الذي يستطيع أن يرفع مستوى زوجته إلى مستواه، بحيث يعيش معها كصديقين حميمين، كرفيقين، كزميلين .

لفت نظري أنها أسلمت مع أمها خديجة، سيدنا الرسول عيه الصلاة والسلام ذاق من أهوال الدعوة ما ذاق، لكن زوجته أول من آمن به، وأكبر دعم له، والله وقفت معه كالجبل .

قبل أشهر كما أعتقد، أمضينا فترة طويلة مع خديجة رضي الله عنها، تكاد الدعوة الإسلامية تقوم على جهدها، وعلى دعمها، وعلى صبرها، وعلى صمودها إن صح التعبير، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة، لم ينس فضل خديجة، قال:

((انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وخرز اللواء عند قبرها))

تزوجها عتيبة بن أبي لهب قبل البعثة، ولم يدخل عليها، كما أن أخاه عتبة تزوج رقية، وعتيبة تزوج أم كلثوم، ولم يدخل عليهما، وكان ذلك بعد البعثة، فلما نزل قوله تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: ١]

قال أبو لهب لابنيه: رأسي من رأسكما حرام، حتى تطلقا ابنتيه، فطلقنا قبل الدخول عليهما . النبي عليه الصلاة والسلام حينما جعله الله أسوة حسنة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٢١]

كل شيء ذاقه، حتى تطليق البنات ذاقه، وموت الولد ذاقه، والفقر ذاقه، والغنى ذاقه، والقهر ذاقه، والنصر ذاقه، والهجرة ذاقها، والإخراج من بلده ذاقه، ذاق كل شيء، ووقف وقفة كاملة مع كل

شيء، فاستحق أن يكون سيد الخلق، ولولا أن النبي بشر، تجري عليه كل خصائص البشر، لما كان سيد البشر .

أما زوج زينب، دعي الدعوة نفسها، لتطليق ابنة محمد، فلم يفعل، فلما وقع أسيراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، نظر إليه، فقال:

((والله ما ذممناه صهراً))

كان حراً، هناك شخص إمعة، هناك شخص قراره بيد والدته، طلق فيطلق، افعل يفعل، اترك يترك، الوالدة على



العين والرأس، والوالدة يُحسن إليها بلا حدود، أما أن تأمرك بمعصية فتستجيب، فلست حراً، قالت له:

((إما أن تكفر بمحمد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت، قال: والله يا أمي، لو أن لك مائة نفس، فخرجت واحدةً واحدةً، ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت، أو لا تأكلي))



الزوجة لها حق، والأم لها حق، أما أن تتساق مع الزوجة، وتنسى حق أمك، شذوذ، أما أن تنسى حق الزوجة، وتتساق مع أمك، أيضاً شذوذ، أعط كل ذي حق حقه، أما الأصل في هذا الموضوع:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ٢٣]

العبادة لله وحده، والإحسان للوالدين، أما إذا أطعت والدك في معصية، فأنت عبدته من دون الله، العبادة لله، والإحسان للوالدين .

وأنا لا أنطلق من فراغ، أخوان كثيرون يسألونني، أمه أمرته بتطبيق زوجته، أبوه رفض أن يسمح له بالزواج من فلانة؛ لأنها محجبة، معاملة قاسية جداً، أنت مكلف أن تحسن إلي الأب والأم من دون حدود، من دون قيود، إلى أقصى حد، أما أن تطيعهما في معصية الله فمستحيل، قال تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة لقمان الآية: ١٥]

ثم تزوجها سيدنا عثمان بعد وفاة أختها رقية سنة ثلاث للهجرة، ولم تلد له، وبقيت عنده إلى سنة تسع، حيث توفيت رضي الله عنها في شهر شعبان .

الآن عامة الناس تزوج زوجة ماتت، أخذ أختها، ماذا يقول الناس: ما هذا؟ ماذا قال النبي؟ قال:

((لو كنَّ عشرًا لزوجتهن عثمان))

أرأيت هذا الكمال؟ .

وهناك شخص، لديه ظروف مادية صعبة، يقول: قدّم هذه الزوجة شوّم، كلام شياطين، زوجة طاهرة بريئة، ليس لها علاقة، إذا طرأت مشكلة، إذا كان هناك رواج، ثم صار كساد، قدّم الزوجة سيء، لا ليس سيئاً، ليس له علاقة، ما دامت الزوجة مستقيمة، فهذا الكلام ليس له علاقة .
التشاؤم من رقم، من بيت، من يوم، دخل زبون عقد صفقة، دخل صديق طارت الصفقة، كلام ليس له معنى إطلاقاً، كلام شياطين، ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس، والحقيقة هذه السيدة الجليلة السيدة أم كلثوم عاشت بين أكرم أبوين على الإطلاق .

العوام لهم كلمة تعجبني، الإنسان حينما يتزوج، فإنه يتزوج الأهل؛ لأن البنت نسخة طبق الأصل عن أمها وعن أبيها، فبيت العلم، بيت الخلق، بيت الوقار، بيت الحياء، بيت الأصالة، بيت النسب، ابحت عن الأهل .



طبعاً أم كلثوم ورقية ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجهتا مصيراً واحداً في سبيل الإسلام.

صحابي جليل اسمه: مصعب بن عمير، كان ابن أسرة غنية جداً، وكان مضرب المثل في أناقته، وثيابه الفاخرة، كان فتي أنيقاً، فيه غنى ظاهر، فلما أسلم، حُرِمَ كل هذا الغنى، حرّمه أهله كل شيء، هذا الحرام وسام شرف .

أفيس على هذه الحادثة، لأن البعثة الإسلامية ظهرت، ولأن الله عز وجل أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: 1]

طلقنا منهما، وهذا درس لنا، إذا خسرت بسبب دينك، بسبب منهجك، بسبب استقامتك ، بسبب مبادئك، بسبب أهدافك النبيلة، بسبب هويتك الواضحة، خسرت شيء من الدنيا، خسارة هذا الشيء، وسام شرف لك .

إياك أن تعد هذا خسارة، افتخر بكل شيء ضاع منك، بسبب مبادئك، لأن هذا في ميزان حسناتك يوم القيامة .

هناك نقطة دقيقة جداً سأوضحها لكم: إنسان عنده مطعم، يبيع الخمر، تاب إلى الله، أليس الله قادراً من لحظة توبته أن يضاعف له غلته؟ أليس قادراً؟ ما الذي يحدث؟ الغلة تهبط إلى الربع، لماذا؟ ليدفع المؤمن ثمن طاعته، لتكون هذه الخسارة المؤقتة في ميزان حسناته يوم القيامة، أما لمجرد أنه تاب، تضاعفت غلته، يتوب آلاف المنحرفين لا حباً بالله ولا طمعاً بالجنة ، ولكن رغبة في مضاعفة الغلة .



سمعت بمطعم في حلب، كتب لوحة: ممنوع شرب الخمر بأمر الرب، والرزق على الله.

فلا بد أن تدفع ثمن طاعتك، كل مؤمن يصطلح مع الله، ويوم يعاهده على الطاعة، تنشأ له مشكلات ضمن الأسرة، من أقرب الناس إليه، من أمه وأبيه، من زوجته، من أولاده أحياناً، كان من الممكن ألا تكون، لكن هذا

المؤمن لا يرقى إلى الله عز وجل، كيف يرقى؟ بدفع هذا الثمن باهظاً، الله عز وجل يريد أن تدفع الثمن، ليكون هذا الثمن في ميزان حسناتك يوم القيامة، فمرحباً بكل شيء متعب إذا كان في سبيل الله .

مرة أخ من أخواننا، كان يسهم في بناء مسجد، نشأ إشكال، فطلب للجهات الرسمية، فبلغته ذلك، قال لي: الجنة تحتاج إلى ثمن، وهذا من ثمن الجنة .

هو يعمل في بناء المساجد، وله باع طويل، وله أعمال طيبة، ولكن ما رأيته انزعج أبداً، قال: الجنة لها ثمن، وهذا من ثمن الجنة، وطئن نفسك على دفع ثمن الجنة، ألا إن سلعة الله غالية .

إذا أخذ طبيب أعلى شهادة، وذاق الأمرين حتى أخذ الشهادة، وسنوات لم ينام الليل، ومنهج فوق طاقة البشر، والأستاذ صعب، قد يكون عنصرياً، وكلفه ما لا يطيق، واصل الليل بالنهار، فإذا نال هذه الشهادة، يشعر بنشوة يصعب أن تصور .



ألا إن سلعة الله غالية

إذا ساق الله عز وجل لرجل بعض الشدائد لأنه مسلم، أما إذا قصر الرجل

مع ربه، ارتكب معصية، الله أتلف له ماله، أطلق بصره، هذه عقوبات، لا أتحدث عن هذا، أنا أتحدث عن مصيبة، كانت بسبب مبدئك، بسبب التزامك، بسبب هويتك، مصيبة بهذا السبب، هذا وسام شرف، وهذا ثمن الجنة،

((ألا إن سلعة الله غالية))

النبى عليه الصلاة والسلام شجت وجنته، وكسرت ثنيتيه في أحد، وسال الدم من وجهه في الطائف، أليس الله قادراً على نصره؟ كيف سمح لهؤلاء السفهاء أن ينالوا منه، وأن يشتموه، وأن يسخروا منه، وأن يكذبوه؟ جاءه جبريل: لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين، قال:

((لا يا أخي، اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون))

هذا هو الكمال البشري .

عاشت أم كلثوم رضي الله عنها إلى جانب أمها خديجة التي وقفت موقف الجبال الرواسي، الذي عنده ابنة، وكان مسلماً ومؤمناً، وما صدق النبي، فهذه مشكلة كبيرة جداً، لأن النبي يقول:

((من جاءه بنتان، فأحسن تربيتهما، فأنا كفيله في الجنة))



العناية بدين بناتكم طريقكم الى الجنة

كل بيت فيه بنت، العناية بهذه البنت،
والعناية بدينها، وبصلاتها، وبحجابها،
وبعلمها ، وبفقهها، وبقراءتها، ثم
تزويجها لشاب مؤمن، هذا طريق
للجنة.

ضمنت الجنة بهذه البنت، فالذي أعجب
منه أشد العجب، أن يتبرم الزوج إذا
بُشر بالأنثى.

لي صديق، جاءه سبع بنات، أول بنت لاقت ترحابًا كبيرًا، ثاني بنت أعطى هدية للأُم ثمينة، لأنها
أنجبت بنتًا، البنت الثالثة هدية أثنى، الرابعة أثنى، كلما أنجبت له بنتًا، يأتيها بهدية ثمينة، لأنها
هدية الله، البنت هدية الله .

أحيانًا يأتيك ابن ينسبك الحياة كلها، وتأتي البنت بعطفها، وحنانها، وإخلاصها، وقد يأتيها زوج
راق جدًّا، فيصير أقرب لك من ابنك، أنت استسلم، وعد هذا المولود هدية من الله، والهدية اعتن
بها كثيرًا .

عاشت أم كلثوم إلى جانب أمها خديجة
التي وقفت موقف الجبال الرواسي،
لتأييد زوجها النبي صلى الله عليه
وسلم.

هل ذاقت أم كلثوم ألم الحصار الظالم
الذي ضرب عليها وعلى المسلمين من
قبل قريش، وما هي أسباب الحصار ؟
أيها الأخوة، السيدة أم كلثوم ذاقت ألم



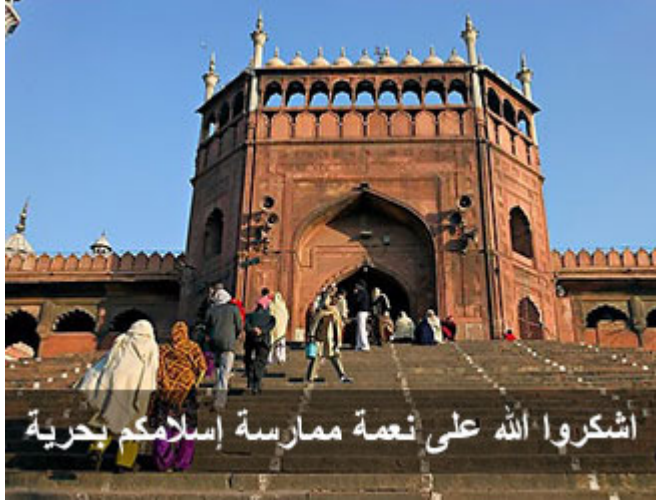
البنت هدية الله لك

الحصار، كان هناك حصار على المسلمين، والإنسان هو الإنسان، الآن هناك حصار على بعض الدول الإسلامية، ستمئة ألف طفل يموتون كل عام، أعلى راتب يساوي صحن بيض، تضخم نقدي مزمن، الحصار هو الحصار، عَنْ أَنَسٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَكَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَكَيْلَالِ طَعَامٍ، يَأْكُلُهُ ذُو كَيْدٍ، إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ذاقنا مع أمهما بجانب النبي صلى الله عليه وسلم ضيق الحصار، حتى إنهما أكلوا أخشن الطعام، لسد رمق الجوع القاتلة، وأقاموا على ذلك ثلاث سنين بلا طعام، حتى إن بعض الصحابة، أكلوا أوراق الشجر، وهذا حتى يصل الإسلام إليك إلى الشام



اشكروا الله على نعمة ممارسة إسلامكم بحرية

أنت متمتع بمساجد مفتوحة، أحياناً مكيفة، مراوح، تكبير صوت، لا أحد يضايقك، لا سؤال، ولا جواب، كل بيوت الله مفتحة، الدروس على قدم وساق، هذا الإسلام مدفوع ثمنه، من دفع ثمنه؟ الصحابة الكرام، أنت الآن مستهلك، أنت الآن منتفع، أما الصحابة فقد دفعوا الثمن، ثلاث سنوات أكلوا أوراق الشجر، والكافر هو الكافر لا

يتغير، الكفر هو الكفر، والإيمان هو الإيمان، ومعركة الحق والباطل أزلية أبدية .

الطعام الذي يصل إليهم، يصلهم سراً بكميات قليلة جداً، وكان عليه الصلاة والسلام يتولى توزيعه بنفسه بالعدالة، الآن تذهب مساعدات للمكوبين، الذين يحتاجون لهذه المساعدات لا تصل إليهم، وقد تصل إلى أعدائهم، فكان عليه الصلاة والسلام يوزع هذا الطعام القليل بنفسه على أصحابه . أما أسباب الحصار: لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدًا، أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأن النجاشي منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، وأصبح الإسلام يفتش في القبائل، اجتمعوا واثتمروا على أن يكتبوا كتابًا، يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب؛ على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك، كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا، وتواتقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فذاق النبي المقاطعة الاقتصادية، ذاق ألم الحصار هو وأهله .

أم كلثوم كانت تحت هذا الحصار،
نجت أختها زينب، وأختها رقية في
الحبشة، وزينب مع زوجها .

وقد رق بعض أشرف قريش لآل
هاشم، وآل المطلب، كانوا مستضعفين،
يقول أحدهم: النبي مجنون، وينام في
بيته آمناً، النبي كان مستضعفاً، يمر
النبي على آل ياسر، وهم يُعذبون، ماذا
كان يقول لهم؟



((صبراً آل ياسر))

الآن كلمة محمد تترج لها الدنيا، أما حينما بدأ بالدعوة كان ضعيفاً، ولحكمة بالغة بالغة، أرادها الله
جعله ضعيفاً، لماذا؟ ليكون الإيمان به حقيقياً، لو كان قوياً وآمنوا به مائة ألف وتسعة وتسعون ألفاً
كاذبون خوفاً أو طمعاً، أما إذا كان ضعيفاً، فالإيمان به حقيقي .

أقول لكم هذا دائماً: الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء ملكوا الرقاب بقوتهم،
والأنبياء بكمالهم، والنبي كان مستضعفاً، وقالوا عنه: مجنون، قالوا عنه: ساحر ، قالوا عنه:
كذاب، قالوا عنه: كاهن، قالوا عنه: شاعر، ألقوا عليه التراب .

في أي عام توفيت السيدة خديجة وأبو طالب، وهل نال النبي الأذى من بني قومه بعد وفاتها؟

أيها الأخوة، هذه الفتاة الطاهرة الابنة البارة أم كلثوم، حزنت كما حزن أبوها في السنة العاشرة
 للهجرة، هذه السنة سماها المؤرخون: عام الحزن، فقد النبي دعامتين، سند داخلي، وسند خارجي،
ماتت زوجته خديجة، يُضاف إلى آلامه صلى الله عليه وسلم فقد الزوجة .
ذاق موت الزوجة صلى الله عليه وسلم، ذاق موت الولد، ذاق تطليق البنات، ذاق الهجرة، ذاق
الفقر، قال:

((لَقَدْ أَحْقَتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُؤذِيْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ

ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبَالِ طَعَامٍ، يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ، إِلَّا شَيْءٌ يُؤَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

[أخرجه الترمذي عن أنس في سننه]

يعني إذا الواحد خاف قليلاً، وهو يدعو إلى الله عز وجل، له في النبي أسوة حسنة، وهو سيد
الخلق، وحبیب الحق .

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأُمَّتُلُ، فَالْأُمَّتُلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صَلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هناك صحابية لها زوج، ما ذاق مرةً مصيبة، فشكت في إيمانه، فذهبت إلى النبي عليه الصلاة والسلام، كي تسأله أن يسمح لها أن تفارقه، هذا ليس مؤمناً، سار معها في الطريق، فوقع، فتعثر، فجرحت قدمه، قالت:

((ارجع فقد قضيت حاجتي))

المؤمن من خصائص الإيمان: الابتلاء، قال تعالى:

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٣٠]

قيل للإمام الشافعي:

((أدعو الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ فقال: لن تمكن قبل أن تُبتلى))



فهذه السيدة خديجة، ماتت بعد خمس وعشرين عاماً في صحبة النبي عليه الصلاة والسلام، تزوجها في الأربعين، بإضافة خمس وعشرين، ينتج خمس وستون، هو عمره خمسون سنة .

الآن إذا جاوزته بسنة، يقول لك: قلبي غير مطمئن، سنة واحدة، بنت عالم، وبنت أصل، وفهم، يقول لك: كبيرة، يندب حظه دائماً، خمس عشرة سنة زيادة عنه، اللهم صلِّ عليه .

إذا تزوج الرجل امرأة وماتت، وتزوج الثانية، يرضي الثانية، ويذم الأولى، أما النبي عليه الصلاة والسلام، فكان وفيّاً لهذه الزوجة وفاءً يفوق التصور .

مرةً من باب المداعبة، قالت له السيدة عائشة:

((ألم يبذلك الله خيراً منها؟ قال: لا والله ، لا والله، لا والله))

أقسم ثلاثة أيمان .

السيدة عائشة جميلة جداً، شابة في مُقتبل الحياة، والتي كانت عنده في عمر أمه تقريباً ، إذا تزوجت المرأة في الخامسة عشر، تتجب ولد أصغر منها بخمسة عشر، معناها في عمر أمه تماماً.

بعد أن ماتت هذه السيدة الجليية، التي هي السند الداخلي، مات عمه أبو طالب الذي هو السند الخارجي، فالدعم الداخلي انهار، والدعم الخارجي انهار، لذلك سمي كتاب السيرة العام العاشر للهجرة: عام الحزن .

لما مات أبو طالب، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبو طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه التراب، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته، والتراب على رأسه، فقامت أم كلثوم تغسل عنه التراب، وهي تبكي، فقال



عليه الصلاة والسلام:

((لا تبكي يا بنية، إن الله مانع أباك))

تقته بالله عظيمة جداً، هذا يتجلى في الهجرة، سرقة وراءه، مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، الناقة ثمنها يقدر بمائة وخمسين ألفاً، أو بمئتي ألف، ضرب مائة، مليونين، لمن يأتي به حياً أو ميتاً، وسرقة وراءه جاء ليقنتله، ويأخذ الجائزة، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((كيف بك يا سرقة إذا لبست سوارى كسرى؟))

أنت ملاحق، مهدور دمك، ثقة النبي بالنصر، شيء لا يصدق، يعني سأصل، وسأنشئ دولة، وسأحارب، وسأتي بكنوز كسرى، وفي عهد سيدنا عمر جاءت كنوز كسرى، وجاء سوار

كسرى، وتاج كسرى، وقميص كسرى، أين سراقته؟ جاء سراقته، سيدنا عمر ألبسه سواري كسرى وتاجه، وقال:

((أبّخ ببخ، أعيرابي من بني مدلج، يلبس سواري كسرى))

بالمَنظور المعاصر الآن دولة في جنوب إفريقيا صغيرة جداً، لا تعرفها على الخريطة، ولا تعرف عاصمتها، والفقر مدقع، ومواطن من مواطنيها، يجلس في البيت الأبيض مكان صاحبه، أيضاً نفس المقياس، أعيرابي من بني مدلج، يلبس سواري كسرى .



أتمنى على كل مؤمن، أن تكون معنوياته عالية، لن يتخلى الله عن المؤمنين أبداً، ولكنه يمتحنهم، لا يتخلى عنهم، بل يمتحنهم .

قال ابن إسحاق كاتب السيرة الشهيرة:

((إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتبع علي النبي صلى الله عليه وسلم المصائب بموت خديجة، وكانت له وزير صدق عن الإسلام، يشكو إليها، وبموت عمه أبي طالب، وكان له عضداً، وحرزاً في أمره، ومنعة، وناصرًا على قومه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين))

كيف استقبل النبي أهل بيته حينما وصلوا إليه في المدينة، وما سبب رفض أبي بكر الزواج من حفصة بنت عمر، ولماذا لقب عثمان بن عفان بذي النورين ؟

هاجر النبي كما تعلمون مع صاحبه أبي بكر، وبعد حين أرسل من يأتيه بأمر كلثوم وفاطمة . ترك النبي عليه الصلاة والسلام أم كلثوم وفاطمة عند زوجته الثانية سودة بنت زمعة التي تزوجها بعد خديجة، وبعد أن وصل إلى المدينة، واستقر فيها، أرسل بعض أصحابه، لاصطحاب أهل بيته من مكة، مع أهل أبي بكر، الذين استبقاهم هناك .

أيها الأخوة، حينما وصلت بنات النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم وفاطمة، تصحبهما زوجة النبي عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة، ومعهن بنات أبي بكر الصديق أسماء وعائشة، حتى استقبلهن نساء الأنصار بالحفاوة والترحاب، ويستقبل النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه وزوجه بكل شوق وحنان .

هذه الفطرة، جمع شمل الأسرة، بلاد إسلامية غنية جداً، لا تسمح للإنسان بالإقامة مع زوجته فيها، تتركه سنة بلا زوجة، وأعداء الدين يجمعون الأسر، ونحن نفرق بين الأسر، جمع شمل الأسرة من منهج الله عز وجل، وليس منا من فرق، فاجتمع الشمل، جاءت الزوجة والبنات الأولى والثانية إلى



المدينة .

أيها الأخوة، في المدينة كان النبي عليه الصلاة والسلام مع ابنتيه السيدة فاطمة والسيدة أم كلثوم، وحدث حدثاً لطيفاً: سيدنا عمر له ابنة اسمها حفصة، توفي زوجها خنيس بن حذافة يوم بدر، وانتهت عدتها، فعرضها على أبي بكر فرفض، وعرضها على عثمان فرفض، فخاب أمله، وتألم أشد الألم، ولكنه لم يعلم ما ادخره الله له ولابنته حفصة من الشرف العظيم والمكانة الرفيعة، ماذا حدث؟ شكنا سيدنا عمر إلى النبي هذه المشكلة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة))

ما الذي حدث؟ تزوج النبي حفصة، وتزوج عثمان ابنته، هذا من باب التقليد، أحياناً لا يكون الوفاق بين الزوجين، أدعو للزوجين هكذا: الله يبعث لك أحسن منها، ويبعث لك أحسن منه، وهذا يكون أحياناً، فهذا الذي رفض، يأتي إنسان أفضل، وهذه التي رفضت، يأتي الخاطب أفضل، قال له:

((يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة))

لقي أبو بكر عمر، فقال:

((لا تجد علي، فإن رسول الله ذكر حفصة، سيتزوجها- والنبى قال:

((أخفوا الخطبة))

ما أحب أن يفشي سر رسول الله، فاعتذر، ماذا فهم سيدنا عمر؟ أنه اعتذر إباءً، لا، معنى ذلك أن البيان يطرد الشيطان - .

فلم أكن لأفشي سر رسول الله -اعتذاري كان، لأنني لم أرد أن أفشي سر رسول الله ، ولو تركها لتزوجتها، أنا لي الشرف أن تكون ابنتك زوجتي، أرأيت إلى التوضيح ما أجمله؟! -
تزوج النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بعد عائشة))

فلمح عليه الصلاة والسلام في حديثه هذا، أنه سيزوج عثمان إحدى بناته .

هناك رواية لأبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي عليه الصلاة والسلام، قال:

((أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صدق رقية، وعلى مثل صحبته ، وتحل أم كلثوم زوجة كريمة مبجلة عند عثمان بن عفان))



المرأة ما أكرمها إلا كريم ولا أهانها إلا لنيم

أخواننا الكرام، المرأة ما أكرمها إلا كريم، ولا أهانها إلا لنيم، وكان أصحاب النبي مثلاً علياً في تكريم المرأة .

فكانت زوجة كريمة مبجلة عند عثمان بعد أختها رقية، ويحظى عثمان رضي الله عنه بهذا اللقب (ذي النورين)، لأنه

تزوج ابنتي رسول الله عليه الصلاة والسلام، حيث كان زوجاً لابنتي رسول الله على التوالي، وقد كان زواجه من أم كلثوم لثلاث سنوات خلون من الهجرة، وعاشت أم كلثوم عند عثمان ست سنوات ولم تلد له، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة تسع للهجرة، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لو كن عشراً لتزوجتهن عثمان))

ولما وضعت أم كلثوم في قبرها، جلس النبي عليه الصلاة والسلام على قبرها، وعيناه تدمعان
حزناً على ابنته الغالية العزيرة، فرضي الله تعالى عن السيدة الكريمة أم كلثوم، كما قال بعض
الخطباء:

((كوكب الإسلام))

والحمد لله رب العالمين

السيرة- سيرة الصحابيات الجليلات - بنات النبي الكريم -السيدة فاطمة الزهراء الدرس (١-٣):
سيرة السيدة فاطمة الزهراء ١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

إليك الحديث عن السيدة فاطمة الزهراء من حيث: نسبها، زوجها، أولادها، مكانتها عند أبيها:

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس السابع والعشرين من سير الصحابيات الجليلات رضوان الله تعالى عنهن أجمعين، ومع بنات النبي صلى الله عليه وسلم، ومع الابنة الرابعة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها .

هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمها خديجة أم المؤمنين، كانت أصغر بنات النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت سيدة النساء في زمنها، وقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أنه كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع، والسيدة فاطمة رضي الله عنها إحدى هؤلاء الأربع، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ولدت قبل البعثة بقليل، تزوجها الإمام علي كرم الله وجهه في ذي القعدة من سنة اثنتين بعد وقعة بدر، لها من الأولاد الحسن، والحسين، والمحسن، وأم كلثوم، وزينب، أبناء علي بن أبي طالب، وكان عليه الصلاة والسلام يحبها، ويكرمها، ويسرُّ إليها، ومناقبها غزيرة، وكانت رضي الله عنها صابرة، دينية، خيرة، قانعة، شاكرة لله



عز وجل، وقد غضب لها النبي عليه الصلاة والسلام، لما بلغه أن أبا الحسن هم ولم يفعل بما رآه سائغاً من خطبة بنت أبي جهل.

فَعَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ:

((إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَتْهُ حِينَ تَشْهَدُ، يَقُولُ:

أَمَّا بَعْدُ، أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضَعَتْ مِنِّي، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخُطْبَةَ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما]

فترك علي رضي الله عنه الخطبة رعاية لها .

الحديث عن السيدة فاطمة يطول، حديث مسعد، فهي سيدة عصرها، هي إحدى أربع نساء كملن في العالمين، والمرأة إذا كملت شيء لا يوصف، المرأة إذا كملت تكون قررة عين لمن حولها .

إليكم بعض الأحاديث التي وردت عن النبي بشأن مكانة السيدة فاطمة بنت النبي

أيها الأخوة، صح في السيرة، وفي سير أعلام النبلاء، وسنن الترمذي، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رِبِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ))

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ:

((أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، وَسَلْمٌ لِمَنْ سَأَلْتُمْ))

[أخرجه الترمذي في سننه]



والحقيقة من كرامة النبي عند الله؛ أن جعل له أهل بيت أطهار، ومن كرامة النبي عند الله أن الله اختاره، واختار له أصحابه، ومن كرامة المؤمن الآن؛ أن يكون حوله مؤمنون على شاكلته، يعرفون قدره، يعرفون علمه، يعرفون خلقه، يعرفون ورعه، يعرفون محبته لله عز وجل، إذا أحاطك الله بمن يقدرك، ويعرف قيمتك، فهذه نعمة من

نعم الله الكبرى، وأكبر عقاب يُعاقب به الإنسان، أن يكون الذي معه مناقضاً له، أن يكون الزوج صالحاً، والمرأة سيئة، وأن تكون الزوجة سالحة، وزوجها يعصي الله عز وجل، أكبر عقاب تُعاقب به أن تكون أنت في واد، ومن حولك في واد آخر، فمن تكريم الله لك أن يجعل الذين حولك على شاكلتك، وكلما ارتقى الإنسان، يكرمه الله بأن يقيض له كرماء صالحين، وما أخلص عبد الله عز وجل إلا جعل قلوب المؤمنين، تهفو إليه بالمودعة والرحمة .

ترى الأخوة المؤمنين بينهم اللطف، والمودة، والاحترام المتبادل، والزيارات، والبذل، والتضحية، وترى أسراً في المحاكم، والخصومات، والشتائم، والسباب، والبغضاء، والشحناء، هؤلاء بهائم، أما الإنسان فهو مخلوق راق جداً .

تزرع أحد الصحابة عن النبي ريشة عن رداءه، فرفع النبي يديه إلى السماء، وقال:

((اللهم أكرم من نزعها))

وكانت تعظم عنده النعمة مهما دقت .
وعن أبي سعيد قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:



((فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

وعن جميع بن عمير التيمي، قال: دخلت مع عمتي على عائشة فسئلت:

((أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ، فَقِيلَ: مِنْ الرِّجَالِ؟
قَالَتْ: زَوْجَهَا، إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ صَوَامًا قَوَّامًا))

[أخرجه الترمذي في سننه]

هل شاركت فاطمة معاناة أبيها أثناء نشر دعوته بين أبناء قومه، وماذا قال علماء السيرة عنها؟
أيها الأخوة، السيدة فاطمة الزهراء كانت واحدة زمانها، وعظيمة دهرها، لما تهيأ لها من الكثير
من مشاهد النبوة والوحي، فقد صحبت أباهما من نعومة أظفارها إلى أن فارقها النبي صلى الله
عليه وسلم، يوم التحق بالرفيق الأعلى، على مدى ربع قرن .



احتلت السيدة فاطمة عند النبي والمؤمنين مكانة عظيمة

أيها الأخوة، فقد كانت مع النبي،
وشهدت كل أحداث الدعوة، شهدت
معاناة النبي في مكة، شهدت الهجرة،
شهدت الغزوات، كل المعاناة التي
عاناها النبي كانت إلى جانبه، كانت
معه، كانت ترى بعينيها تطور البعثة
من حال إلى حال، لذلك كانت رضي
الله عنها شديدة الحزن على أبيها عليه

الصلاة والسلام، فهي لم تعرفه إلا نبياً مرسلًا من عند الله تعالى، وهي دون الرابعة من عمرها،
فلم تكدي تعي على الدنيا إلا ويملاً سمعها أحداث تبليغ الدعوة ونشرها، وبثها بين جموع قريش،
لازمت النبي، وشهدت كل شيء، شاركته في كل شيء، عانت كل شيء، لذلك قال علماء السيرة:
كانت أشد عزماً من أخواتها، وأكثر وعياً لما جرى، ويجري من أحداث، واكبت دعوة التوحيد
والإيمان .

أيها الأخوة الكرام، لهذا احتلت فاطمة الزهراء تلك المكانة العظيمة، ليس عند أبيها فحسب، بل
عند جميع المؤمنين والمؤمنات .

أيها الأخوة، ذكر هذه السيدة الجليلة،
 يعطر المجالس، الكمال رائع في المرأة
 الوفية، المرأة المحبة، المرأة خفيفة
 المؤنة، كثيرة البركة، المرأة التي
 تسعى لإسعاد زوجها، المرأة التي
 ترضى من زوجها كل قليل، المرأة
 التي تحب الله، هذه امرأة كما يقول



لابد أن يكون هناك تكافؤ بين الزوجين

بعضهم: أندر من الكبريت الأحمر .

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام لم يزوجها إلا لرجل كفاء لها، والكفاءة في الزواج مهمة جداً،
 أحياناً فتاة تحفظ كتاب الله، فلا ينبغي أن تزوج لشاب شارد، لا يعرف قيمة دينها، ولا قيمة
 ورعها، آباء كثيرون تزل أقدامهم حين لا يزوجون بناتهم لمن كان كفوفاً لهن .

فهذه السيدة رضي الله عنها لها من البلاء في الإسلام ما كان لها، ولها من التضحية في سبيل الله
 ما كان لها، ولها من معايشة الدعوة الإسلامية من بدايتها مثل ما لها .

من كان زوجها؟ ربيب النبي عليه الصلاة والسلام الذي رباه، وحامل لوائه، وناصره على
 أعدائه، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا غرابة أن الله تعالى يباهي جميع خلقه بفاطمة ابنة
 حبيبه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بما حباها من تلك الخصال والصفاء .

الأحاديث التي وردت عن النبي بشأن إكرامه لفاطمة وأنها أكثر الناس شبيهاً به :

ورد في الترمذي في سننه من كتاب الفضائل عن حذيفة، قال:
 ((سَأَلْتَنِي أُمِّي مَتَى عَهْدُكَ (تَعْنِي بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ فَقُلْتُ: مَا لِي بِهِ عَهْدٌ مُنْذُ كَذَا
 وَكَذَا فَنَالَتْ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي آتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَصَلِي مَعَهُ الْمَغْرِبَ،
 وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي وَلكَ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى
 حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي، فَقَالَ: مَنْ هَذَا، حُدَيْفَةُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا
 حَاجَتُكَ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلِأُمَّكِ؟ قَالَ: إِنَّ هَذَا مَلَكٌ، لَمْ يَنْزِلِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبِّيَ
 أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

من هو الإنسان العظيم؟ الذي له عند الله مكان عظيم، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[سورة القمر الآية: ٥٤-٥٥]

إن كان لك عند الله مقعد صدق، فهذه هي الجنة، وهذا هو الفوز العظيم، وهذا هو الفلاح، وهذا هو النجاح، وهذا هو التفوق، وهذه هي السعادة، أن تكون لك حظوة عند الله .



وفي الحديث الصحيح عند الترمذي،
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ
عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ
بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَا امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

قال كتاب السيرة فيما نقل:

((إن هذه السيدة الجليلة كانت كثيرة الشبه بأبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم))

يعني أكثر بناته شبهاً به السيدة فاطمة رضي الله عنها .

وَعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ:

((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمَنًا وَهَدْيًا وَدَلًّا، وَقَالَ الْحَسَنُ حَدِيثًا وَكَلَامًا، وَلَمْ يَذْكُرْ الْحَسَنُ السَّمْتَ
وَالْهَدْيَ وَالِدَلَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ
عَلَيْهِ، قَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا، قَامَتْ إِلَيْهِ،
فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا))

[أخرجه أبو داود في سننه]

بربكم أنتم آباء، أحياناً تأتيكم بناتكم زائرات، تدخل البنت أهلاً أبي، الأب جالس مرتاح ولا
يتحرك:

((كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ))

طبقوا هذا:

((كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ
عَلَيْهَا، قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا))

الحياة كلها مودة، أجمل ما في الحياة
المودة والحب، والاحترام المتبادل،
والوفاء، والتضحية، فالإنسان حين
يعيش حياة الود، حياة الحب، حياة
الكرم، هذا إنسان سعيد .



أجمل ما في الحياة المودة والحب والاحترام

مرة رأى أخ بيتاً مناسباً، فقال: ممكن
أن نرى البيت يا أستاذ، قلت: لا مانع،

فذهبنا نرى البيت، دخلنا إلى غرفة، وجدنا صبيّاً في الخامسة عشر مضطجعاً على قفاه، ورجل
فوق رجل، يشاهد مسلسلاً، ولم يتحرك، ولم يغير مجلسه، ولم ينظر إلينا، هذه التربية، هذه تربية
المسلسلات .

أما تربية سيد الأنام:

((كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَامَ إِلَيْهَا، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ
عَلَيْهَا، قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا))

لقد كان لفاطمة رضي الله عنها، ولزوجها علي كرم الله وجهه، وابنهما الحسن والحسين مكانة
عظيمة

ففي سنن الترمذي، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَيْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلَى
خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ
تَطْهِيرًا، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ))



الأهل الصالحون نعمة ما بعدها نعمة

أخواننا الكرام، صدقوا أن الله جل
جلاله إذا حباك بأهل صالحين، أهل
أعفة، أنقياء، أنقياء، فهذه نعمة لا
تعديلها نعمة .

أنا أقول لكم: كثير هم الرجال الذين
يكفرون نعمة الزوجة الصالحة، زوجة

كتاب سيرة الصحابيات الجليلات - بنات النبي

عفيفة، قنوعة، تخدم زوجها، يبحث عن بعض الأخطاء، ويكبرها، وينشئ مشكلة، هذا إنسان جاهل، وكثيرات هن الزوجات اللواتي حباهن الله بأزواج صالحين، مستقيمين، تبحث عن بعض نقاط الضعف فتكبرها، المرأة أحياناً تكفر بنعمة الزوج، والزوجة أحياناً يكفر بنعمة الزوجة الصالحة، فهناك زوج صالح، وهناك زوجة صالحة .

مرة ملك من ملوك قرطبة، وهو ابن عباد، كان يمشي في حديقته، فرأى بركة ماء، وقد هبت الريح على صفحة الماء، فجعلت منها كالزرد، فقال:

نسج الريح على الماء زرد

ولم يستطع أن يكمل البيت، وكانت وراءه جارياً، قالت له:

..... يا له درعاً منيعاً لو جمد

فأعجب بهذه الجارية، وتزوجها، وجعلها السيدة الأولى، وأكرمها إكراماً ما بعده إكرام ، اشتهت مرة حياة الفقر، كيف كانت تدوس في الطين؟ فطلبت منه أن تعيش يوماً واحداً حياتها السابقة، فجاء بالمسك، والعنبر، وماء الورد، فجلبها وجعلها طيناً، وقال: دوسي فيه، هذا هو الطين، ثم جاء ابن تاشفين من شمال أفريقيا، قضى على ملوك طوائف، وأودعه في السجن، وافترق، فكانت هذه الجارية زوجته، تقول له مرة: لم أر منك خيراً قط، قال لها: ولا يوم الطين؟ فاستحيت . لماذا ذكر السيدة فاطمة يملأ القلوب سعادة؟ من وفائها، من تواضعها، من حرصها على سعادة زوجها، من حرصها على راحته، من حرصها على عدم الضغط عليه .

الآن تضغط الزوجة، تضغط حتى يأكل زوجها الحرام، ويسرق حتى يخلص من شكواها .

قال رجل لامرأته: لقد هلكت من كثرة شكواك وهمومك، فقالت له: إذاً: يوم أشكو به، ويوم أريحك، فكانت في يوم راحته، تقول له: غدا أوجع رأسك، فالإنسان بكماله، فالإنسان بأخلاقه، الإنسان بمحبته .



الآن: كم من إنسان تموت زوجته، إذا فكر في الزواج، قامت بناته عليه بالنكير، السيدة فاطمة لما توفيت أمها السيدة خديجة، رأت أن أباه بحاجة إلى زوجة، فلما تزوج فرحت ، وكانت أكبر معين .

تقول البنت: نحن نخدمك، هم لا يفهمون، الإنسان بحاجة إلى امرأة، وليس إلى بنت، هناك خصوصيات للإنسان لا تحلها البنت، فلذلك البنت الوفية لا تقف حجر عثرة أمام زواج والدها إذا كان بحاجة إلى زوجة .

كيف كانت علاقة السيدة فاطمة مع زوجات أبيها ؟

لما تقدمت خولة بنت الحكيم، تخطب للنبي صلى الله عليه وسلم لتزوجه، لم تكن لفاطمة وأخوتها من معارضة، بل كن جميعاً راغبات راضيات عن زواج أبيهن، الذي أضناه الحزن على فراق أمهن خديجة، ولما جاءت خولة، قالت:

((أفلا أخطب عليك؟ قال صلى الله عليه وسلم: بلى، ثم قال: فإنكن معشر النساء أرفق بذلك))

خطبت خولة عليه سودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، فتزوجهما، فبنى بسودة بمكة، ثم بعائشة بالمدينة .

الآن في التعبير الدارج بنت الحماة مخيفة، حماية ثانية، السيدة فاطمة كانت من أرفق النساء بزوجات أبيها، إذا العلاقة طيبة بين البنت وزوجة والدها، هذا شيء مثالي .

فعاشرت فاطمة مع زوجتي أبيها بكل حب وحسن عشرة، بل كان يزيد في سرورها رؤية أبيها سعيداً في زواجه هذا .

الآن بنت الزوج دائماً ضد خالتها، امرأة أبيها، ضدها على طول مهما فعلت، فكانت فاطمة رضي الله عنها تتظافر مع عائشة في الأمور التي كانت تراها فيها محقة، وهي أكبر عون لزوجته أبيها . أعرف أن زوجة الأب لا يحبها أولاد الأب، أحد أخواننا ذكره الله بخير، قال: لي خالة، إذا ذكرتُ اسمها ثلاث مرات، أبكي من محبتي لها، عاملتنا معاملة أحن من أمنا .

لم هذه القاعدة الثابتة: أن امرأة الأب ضد أولاد زوجها؟ الإيمان يصنع المعجزات، فإذا كانت المرأة مؤمنة، فلا تعامل أولاد زوجها إلا كأولادها، فالسيدة فاطمة لم تكن كبقية النساء بهذه العداوة الثابتة مع زوجة أبيها، بل على العكس، كانت تتعاون مع السيدة عائشة إن كانت محقة في تعاونها.

أما موقفها من أزواج أبيها، فقد كانت أكثر انسجاماً واحتراماً، وتوقيراً، ولا شك أنها في ذلك تقوم بواجبها تجاه حق أبيها .

إذا كان الأب متزوجاً، وكل يوم عنده مشكلة لا يرتاح، أما عنده ابنته من زوجته السابقة في البيت فلا مشكلة، فيه انسجام، فيه مودة، وفيه تعاون، كل يوم حياة لا تُطاق، فالقاعدة الأساسية: ما الذي يسعد أباه؟ أن يدخل البيت مرتاحاً، فما كانت تختلق مشكلة إطلاقاً، بل كانت أكبر معوان لزوجات أبيها .

موقفها دائماً كان توفير زوجاته، والإحسان إليهن، والتأدب معهن، ولم يكن منها رضي الله عنها أي تصرف يثير غضب إحداهن، فقد كانت أكبر تعقلاً لما يحصل لبنات جنسها.

سمعت من يومين قصة امرأة لا تتجرب، وزوجها جيد جداً، وهو متألم بعدم إنجابها، ويتمنى الولد، ولكن بمحبته لها، فهو ساكت، خرجت وخطبت له، وفاجأته بزوجة جيدة، هي خطبتها، قال: والله عشنا معاً أكثر من خمسة عشر عاماً، لم تحدث مشكلة في البيت، عقل راجح، زوج وفيّ، زوج جيد، فالحياة إذا بنيت على الإيمان شيء رائع .

امرأة صالحة جداً، تزوجها رجل، قال لها: بزمانى كنت أفكر في الزواج من امرأة، ثم تركت الزواج منها، قالت لي: إذا تزوجتني، أسلم وأتزوج، وأحفظ القرآن، فلما علمت زوجته الدينة أن هذه المرأة إذا تزوجها تسلم، وتتجرب، وتحفظ القرآن، قالت: بالله عليك تزوجها اليوم، وجاء بها إلى البيت .

المرأة إذا كان دينها أصلياً، إذا كان دينها نابعاً منها، ليس ضغطاً، ليس قهراً، إذا كان دينها نابعاً منها، تفعل المعجزات، تفعل الأعاجيب، لأنها رأت أن هذه المرأة إذا تزوجها زوجها، دخلت بالإسلام، وتحجبت، وحفظت كتاب الله، هذا كسب كبير جداً .

إليك بيان خطبتها وزوجها بشكل تفصيلي :

سيدنا علي لم يكن ليتقدم لخطبة فاطمة من أبيها إلا على وجل شديد لما يعلم ما لها من المكانة العظيمة عنده صلى الله عليه وسلم، وما لها من الحب الكبير في نفسه الشريفة، فكان يتحين الفرص المواتية ليتقدم إليه بهذا الطلب الغالي، وطال انتظار علي سنين عدداً، حتى إذا خامره الرجاء في تحقيق رغبته بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة، أمسك أيضاً، لأنه لا يملك مهرها، فقير، وليس في يده مال، ثم زاد إجمامه، حينما بلغه أن الصحابييين الجليلين خطبها.

سيدنا أبو بكر خطبها، سيدنا عمر خطبها، هو فقير، لا يملك نقيراً ولا قطميراً، إلا أنه ابن عمها،

وحين شعر الصحابة برغبة علي في خطبة فاطمة، شجعه على مراده بعض أصحاب رسول الله، وأخذ يزيد في الترغيب بما له من قرابة النسب، ومنزلة أبيه من قلبه الشريف، أبوه أبو طالب، وأمه فاطمة بنت أسد، وكانت أول هاشمية تلد هاشمي، وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم حين كفله عمه أبو طالب أما بعد أمه .

يوجد مداخلات، قرابة شديدة، مكانة عالية، فوقف علياً رضي الله عنه ملياً يفكر، هو بحق أجدر الناس بفاطمة بنت رسول الله، إنه كان قد تربي، وعاش في حجر النبي، ولم يفارقه ، فزاد هذا في أمله، فتشجع، وطلب من النبي فاطمة .

قال:



كان مهر فاطمة درعا وليس خاتما ماسيا

((فما راعه إلا أن التفت إليه صلى الله عليه وسلم، وسأله مترفقاً، هل عندك شيء؟ - يعني هل عندك مهر لفاطمة؟- فأجابه علي كرم الله وجهه: لا، يا رسول الله، فذكره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أصاب يوم بدر درعاً، فقال له: فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا؟ فأجاب علي رضي

الله عنه: هي عندي يا رسول الله، قال له: فأعطها درعك - هذا المهر، لا غيره، ليس خاتم ثمنه ثمانمائة ألف، إنه درع فقط .

لذلك عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَوْنَةً))

[أخرجه أحمد في مسنده]

الآن ماذا ستلبسونها؟ شرط، الذهب والماس، وشهر العسل في فينيسيا، هكذا طلبات الناس، بيت معين، مساحة معينة، بشارع معين، شهر عسل بمكان معين .

قال: ثم بيعت الدرع بأربعمائة وسبعين درهماً، فجهزت بها عروسه، وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم زواج علي على ابنته فاطمة رضي الله عنهما، وأسكنها صلى الله عليه وسلم قريباً من بيته-

وقال صلى الله عليه وسلم لعلي قبل ليلة الزفاف: لا تحدث شيئاً حتى تلقاني، فدعا بإناء، فتوضأ منه، ثم أفرغه على فاطمة وعلي، وقال: اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما))

أيها الأخوة، وتم زواجهما على بركة الله تعالى، وكان عمر العروس فاطمة يوم زواجها من علي بن أبي طالب ثمانية عشر عاماً، وكان علي زوجها ستة وعشرين عاماً، فكانا قرييين من أحلام أمثالهما، غير أنهما كانا منصرفين إلى ما هو أسمى من كل ذلك، إنهما تابعا السير في سبيل نشر الدعوة .

ما العمل الذي كانت تقوم به فاطمة حينما يكون زوجها غائباً عن البيت، وكيف كانت تستقبله حينما يأتي إليها ؟

فهذا علي رضي الله عنه ينصرف مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته، وهذه فاطمة تستمر في نهجها بين نسوة الأنصار، والمهاجرين، وفتياتهم، تبت فيهم روح الدعوة الإسلامية المنفتحة، الممتدة في ربوع الحجاز، وكان زوجها علي بن أبي طالب لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً .

الآن إذا تأخر الرجل قليلاً في السهرة، يُقام النكير على هذا الشيخ، الذي شغل زوجها قليلاً، ما أروع امرأة في مستوى زوجها! ما أروع امرأة في مستوى الدعوة! ما أروع امرأة تحمل هموم المسلمين! ما أروع امرأة تعرف قيمة زوجها! .

كان زوجها علي بن أبي طالب لا يفارق رسول الله أبداً، إلا ما كان في غزوة تبوك حين استخلفه في المدينة، فعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ:



((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا بَعْدِي))

[أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما]

وكان رضي الله عنه، كلما رجع إلى بيته من غزوة غزاهها، أو سرية قادهها، وجد زوجته بانتظاره.

أحياناً يأتي الزوج متعباً، العمل شاق، والعمل خارج البيت متعب، هموم، ضغوط، مشكلات، فهي تأتي تستقبله باللؤم، بالتقريع، بالضغط الداخلي، ماذا يحصل لهذا الزوج؟ ضغط من الداخل، وضغط من الخارج، أما المرأة الصالحة فتتسي زوجها هموم العمل، تتسيه ضغوط الحياة، تستقبله، تؤنسه، تحترمه .



عَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((مَاتَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَأُتَحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِأَبْنِيهِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ، قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ عِشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَعْتَ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ

بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَأ، قَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرَكْتَنِي، حَتَّى تَطْلُخْتِ، ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِأَبْنِي، فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَابِرٍ لَيْتِكُمْ، قَالَ: فَحَمَلْتُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ، لَأ يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَاحْتَسِبَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ، إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخَلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، قَالَ: تَقُولُ أُمَّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، أَنْطَلِقُ فَاَنْطَلِقْنَا، قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدَمَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لَأ يُرْضِعُهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَعْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مَيْسَمٌ، فَلَمَّا رَأْنِي، قَالَ: لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَوَلَدَتْ، قُلْتُ: نَعَمْ، فَوَضَعَ الْمَيْسَمَ، قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ، فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ، فَلَاكَهَا فِي فِيهِ، حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ قَدَفَهَا فِي فِيهِ الصَّبِيِّ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انظُرُوا إِلَيَّ حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمَرِ، قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَاهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

امرأة ترعى حق زوجها، تخفف عنه آلام الحياة، آلام العمل، الحياة فيها ضغوط شديدة .
أخواننا الكرام، نسب الأمراض تزيد، نسب الأورام تزيد، نسب أمراض الدم، والقلب ، والأوعية، تنزل إلى الثلاثين، والخمسة وعشرين من شدة الضغوط، أنا أستمع إلى بعض القصص، ضغط من الخارج، وضغط من الداخل .

كان إذا عاد من غزوة غزاها أو سرية قادها، عاد إلى بيته، وجد زوجته بانتظاره، قد هيأت له أسباب الراحة، لتخفف عنه بعض ما وجدوا من عناء السفر والغربة عنها .

هل عاشت السيدة فاطمة حياة المتنعمات عند زوجها، وما هو أثاث بيتها ؟

قال: لم تكن حياة فاطمة في بيت زوجها مترفة، ولا ناعمة، شأنها في ذلك، شأن حياتها عند أبيها قبل زواجها، حياة خشنة، والحياة الناعمة لا تصنع الرجال، ولا تصنع البطلات.
سيدنا علي، حينما شغل بالجهاد مع رسول الله، شغل عن جمع المال، والاتجار به، لو سخر وقته في التجارة لصار مليونيراً، قدرات عند الإنسان عالية، هو صرفها في معرفة الله، وفي نشر الحق .

التاجر أحياناً من الصباح، وحتى منتصف الليل، يفكر في التجارة، سوف يتابع أموره ويربح، أما إنسان آخر، جاهد نفسه وهواه، طلب العلم، هذا كله يحتاج إلى وقت .

فانصرف هذا الصحابي الجليل، ابن عم النبي، إلى نصرته صلى الله عليه وسلم، ونشر التوحيد بين الناشئين، فشغله ذلك عن سبيل الثراء، الذي كان أشرف قریش، قد وجهوا شبابهم إليه، فلا عجب إن رأينا هذا الصحابي الجليل، لا يملك مهراً لزوجته سوى درعه، وحال سيدنا علي قبل الزواج، لم يكن خافياً على السيدة فاطمة، الآن إذا



خطب إنسان، وليس معه شيء، طولب بكل شيء، طيب لماذا قبلتم؟ .

فكان حال سيدنا علي واضحاً للسيدة فاطمة، وكانت تعلم أن علياً لم يكن ثرياً، فلذلك لم تفاجأ بالجهاز التي جهزت به، كان مؤلفاً من خميلة ووسادة، حُشيت ليفاً، وإناء وسقاعين . الآن تريد غرفة النوم كذا، الجلوس كذا، الثريات كريستال، طلبات مهرها عجيبة، وتلك الصحابية خميلة ووسادة، حُشيت ليفاً، وإناء وسقاعين، وشيء من العطر، وهي في هذا راضية كل الرضا، لأن هذا الزواج كان برضا أبيها، لذلك كانت فاطمة سعيدة كل السعادة في بيت زوجها علي رضي الله عنه على ما كانت عليه من شطف العيش .

من روائع هذا النبي :

اسمعوا هذه الحادثة، كان علي رضي الله عنه، كلما عاد إلى بيته، يرى فاطمة متعبة راضية، فيساعدها في بعض أعمال البيت القاسية في كل وقت، مكنته الظروف من ذلك، حيث كان غير قادر على أن يستأجر لها خادماً، أو أن يشتري لها أمة، تقوم عنها بأعباء البيت، فكان هو يخفف عنها بعض عناء البيت .

فجاء عليّ مرةً فرأها، وهي تسقي من البئر، حتى اشتكت صدرها، فقال رضي الله عنه:

((قد جاء الله بسبي، فاذهبي إلى رسول الله فاستخدمي، -أي انتي بخادمة- .

فقالت: وأنا والله قد طحنت، حتى مجلت يداي، فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما جاء بك أي بنية؟ استحييت، قالت: جئت لأسلم عليك، واستحييت أن أسأله، ورجعت فأتيناها جميعاً . جاءت بسيدنا علي، فذكر علي حالها، -أن ابنتكم يا سيدي متعبة العمل شاق، جسمها ضعيف، فهل من خادمة؟- فقال صلى الله عليه وسلم: لا والله لا أعطيكم، وأدع أهل الصفة، تتلوى بطونهم، ولا أجد ما أنفق عليهم))

النبي عد المؤمنين أسرة واحدة، ما أعطى ابنته خادمة، وهناك فقراء، يتلون من الجوع .

والحديث في صحيح البخاري، عن عليّ:

((أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلَقَى فِي يَدَيْهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمْ، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بُرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فَرَاشِكُمَا؟ فَسَبَحًا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدًا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرًا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ))

وفي رواية أحمد:

((فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا تَرَكَتُهَا بَعْدَمَا سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ
رَجُلٌ: وَلَا لَيْلَةَ صَفِينٍ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صَفِينٍ؟))

أرأيتم إلى النبوة؟ المؤمنون أسرة واحدة .

وفي درس آخر إن شاء الله، نتابع الحديث عن السيدة الجليلة رضي الله عنها وأرضاها، فهي
سيدة نساء أهل الجنة، وهي من أربع نساء، كملن ولم يكمل غيرهن .

والحمد لله رب العالمين

السيرة- سيرة الصحابيات الجليلات - بنات النبي الكريم -السيدة فاطمة الزهراء الدرس (٢-٣):
سيرة السيدة فاطمة الزهراء ٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا نستببط من هذه الحادثة ؟

١- تقديم المصالح العامة على مصلحة الإنسان الخاصة :

أيها الأخوة الكرام، مع سير الصحابيات الجليلات رضوان الله تعالى عليهن، ومع بنات النبي صلى الله عليه وسلم، ولا زلنا مع ابنته فاطمة الزهراء .

أيها الأخوة، وصلنا في الدرس الماضي من سيرة هذه البنت المباركة التي هي سيدة النساء بنص كلام النبي عليه الصلاة والسلام، أنها اشكتك من أعمال البيت الشاقة، فذهبت إلى أبيها تطلب منه خادمة .

فَعَنْ عَلِيٍّ:

((أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَيَبْلَغُهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمْ، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِيهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَوْ أَوْيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا؟ فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما]

وفي رواية أحمد في المسند، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ، بَعَثَ مَعَهُ بِخَمِيلَةَ، وَوَسَادَةَ مِنْ أَدَمٍ، حَشَوْهَا لَيْفٌ وَرَحِييْنِ وَسِقَاءٍ وَجَرَّتَيْنِ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذَاتَ يَوْمٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى لَقَدْ اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، قَالَ: وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ أَبَاكَ بِسَبِيٍّ، فَادْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ، فَقَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ أَيُّ بَنِيَّةٍ؟ قَالَتْ: جِئْتُ لَأُسَلِّمَ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ تَسْأَلَهُ، وَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتَاهُ جَمِيعًا، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ

صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِسَيِّئِي وَسَعَةٍ فَأَخْدَمْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ لَأُعْطِيكُمْ، وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ، تَطَوُّ بِطُونَهُمْ، لَأَجِدُ مَا أَنْفَقُ عَلَيْهِمْ، وَكُنِّي أَيْبَعُهُمْ وَأَنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ فَرَجَعَا، فَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ دَخَلَا فِي قَطِيفَتِهِمَا، إِذَا غَطِيَا رُؤُوسَهُمَا، تَكَشَّفَتْ أَقْدَامُهُمَا، وَإِذَا غَطِيَا أَقْدَامَهُمَا، تَكَشَّفَتْ رُؤُوسُهُمَا فَتَّارًا، فَقَالَ: مَكَانِكُمَا، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ قَالَا: بَلَى، فَقَالَ كَلِمَاتٌ عَلَّمْنِيَهُنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: تُسَبِّحَانِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتُحَمِّدَانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا، وَإِذَا أُوِيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا؛ فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، قَالَ: فَوَ اللَّهُ مَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْذُ عَلَّمْنِيَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ: وَلَا لَيْلَةَ صَفِينٍ، فَقَالَ: قَاتَلَكُمُ اللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، نَعَمْ، وَلَا لَيْلَةَ صَفِينٍ))

أيها الأخوة، ذكرت هذا بالتفصيل في نهاية الدرس الماضي، أما التعليق؛ فإن النبي عليه الصلاة والسلام علم أمته أن تُقدِّمَ مصالح العامة على نفع الخاصة، هذا درسٌ بليغ:

((وَاللَّهِ لَأُعْطِيكُمْ، وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ، تَطَوُّ بِطُونَهُمْ، لَأَجِدُ مَا أَنْفَقُ عَلَيْهِمْ))

أي أنه جعل المسلمين جميعاً أسرةً واحدة، ولو طبَّقَ هذه المبدأ في حياة المسلمين، لكانوا في حالٍ آخر:

((والله ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن؛ من بات شعبان، وجاره إلى جانبه جائع، وهو

يعلم))

فابنته حبيبة قلبه، أقرب الفتيات إليه، طلبت خادمةً، وهو سيد الخلق، وحبيب الحق، ونبيُّ هذه الأمة ورسولها، وبإمكانه أن يعطيها عشر خادمات، قال:

((وَاللَّهِ لَأُعْطِيكُمْ، وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ، تَطَوُّ بِطُونَهُمْ، لَأَجِدُ مَا أَنْفَقُ عَلَيْهِمْ))

فحينما نتعامل مع بعضنا بعضاً بهذا العطف، وهذه الموضوعية، وهذا التراحم، يرضى الله عنا .

٢- من الطرق الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يحصل عليها إذا عجز على الحصول على دخل

شيءٍ آخر من هذه القصة: أن الإنسان إذا لم يقدر أن يصل إلى مستوى معاشي مرتفع، فالأبواب الأخرى مفتحة على مصاريعها؛ أبواب طلب العلم، أبواب نيل رضوان الله عزَّ وجل، أبواب نشر الحق، هذا متاع لكل مؤمن، أي إذا ما أتيح لك أن تمتلك مركبة، ما أتيح لك أن تسكن بيتاً فخماً، ما أتيح لك أن ترتقي إلى منصبٍ رفيع، هذه حظوظ الدنيا، لكن حظوظ الآخرة مبدولة لكل مؤمن، يقول عليه الصلاة والسلام:

((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[أخرجه البخاري عن عثمان في الصحيح]

شأنك عند الله لا بمساحة بيتك، ولا بموقع بيتك، ولا بنوع مركبتك، ولا بمستوى وظيفتك، ولا بدخلك، شأنك عند الله بقدر ما تعرفه، وبقدر ما تعمل من خلال هذه المعرفة، وهذا متاح لكل مؤمن .

من الأمثلة على الاستنباط الأول :

الاستنباط الأول: أن المؤمن عليه أن يؤثر مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصة، هذا بادئ ذي بدء .

سيدنا عمر رأى إبلاً سمينة، فقال:

((لمن هذه الإبل؟ قالوا: هي لابنك عبد الله، فغضب وقال: أتوني به، فلما جاءه، قال: لمن هذه الإبل؟ قال: هي لي، اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن، قال، ويقول الناس: ارعوا هذه الإبل، فهي لابن أمير المؤمنين، اسقوا هذه الإبل، فهي لابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين، بع هذه الإبل، وخذ رأس مالك، وردّ الباقي لبيت مال المسلمين))
سيدنا عمر بن عبد العزيز، رأى في إصبع ابنه خاتماً ثميناً، فقال:

((بع هذا الخاتم، وأطعم بثمنه ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد، واكتب عليه: رحم الله عبداً عرف حده فوقف عنده))

هكذا. فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يؤثر ابنته حبيبة قلبه على فقراء المسلمين، المسلمون جميعاً أسرة واحدة .

الشرح الأوسع للاستنباط الثاني :

الاستنباط الثاني المهم جداً: إذا كانت أبواب الدنيا مغلقة في وجهك، إنسان ما أتيح له أن يشتري بيتاً، ما أتيح له أن يرتقي إلى منصب رفيع، ما أتيح له أن يقنتي مركبة، إلا أن أعمال الآخرة متاحة لكل مؤمن، بإمكانك أن تصل إلى أعلى درجة، وأنت فقير، وأنت في أقل وظيفة، وفي أقل دخل، وفي أصغر بيت .

فالإنسان إذا ذكر الله، وأخلص قلبه لله، وتعلّم القرآن، وعلم القرآن، ارتقى إلى أعلى درجات الجنان، فإذا فاتك شيء من الدنيا، فلا تنس نصيبك من الآخرة، فإن نصيب الآخرة موفور، ومتاح لكل المؤمنين، وفضل الله يسع لكل عبادة، لكن الدنيا كما قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

[سورة الإسراء الآية: ١٨]

لحكمة أرادها الله، والله عز وجل علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما لم يكن لو كان، كيف كان يكون، فأنت على الدخل المعتدل الذي يكفيك، إنسان جيد جداً، أنت لا تعلم كيف يكون حالك على دخل آخر، أنت لا تعلم لكن الله يعلم، فليس في الإمكان أبدع مما كان، أنت في وظيفة دنيا جيداً جداً، أنت لا تعلم كيف يكون حالك لو كنت في وظيفة علياً؟ اجعل هذا الكلام شعاراً لك: ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني .

ليس معنى هذا أن تقعد، أبداً، ليس معنى هذا أن تتكاسل، أبداً، أما حينما تبذل كل طاقتك، وكل وقتك، وكل جهدك، وتصل بك هذا الجهد إلى هذا المكان، هذا الذي اختاره الله لي، وهذا خير لي من كل شيء، أما أن تقعد، وأن ترتاح، وأن تتكاسل، وأن تبقى نفسك جاهلاً، ولا تعمل، وتقول: هذا الذي اختاره الله لي، لا .

أنا ذكرت سابقاً: هناك ما يسمى بفقر الكسل، فقر الكسل مذموم، وهناك ما يسمى: بفقر القدر، فقر القدر صاحبه معذور، إنسان معه مشكلة في جسمه، معه عاهة، تقعه عن طلب الرزق ، هذا فقر القدر، وفي فقر الإنفاق، الإنسان الذي يسعى للأخرة جهده ينفق مالاً كثيراً في سبيل الله ، فلا يبدو أنه غني لكثرة إنفاقه، وفي غنى الكفاية، وفي غنى البطر، غنى البطر مذموم، عدّه النبي أحد المصائب:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا؛ هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْفِئًا؟))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه]

غنى البطر: هو الغنى الذي يحمل صاحبه على المعصية، اغتنى فجأة، أراد أن يذهب إلى بلاد الله الواسعة، ذهب إلى بلاد الله الواسعة، أراد أن يرى فيها كل شيء؛ دخل إلى ملامهيا، وإلى نواديها الليلية، وإلى علبها السوداء، وإلى مجتمعاتها المنحطّة، معه مال بإمكانه أن يفعل به ما يشاء، هذا الغنى يعدُّ أكبر مصيبة للإنسان، إذا كان عندك ما يغطي نفقاتك، فهذه نعمة ما بعدها نعمة، لأن النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً))

فإذا قال لي أحد الأخوة الكرام: مستورة، أقول له: أصابتك دعوة النبي، لأنه يحبك، لم يشغلك بهذا المال، أحياناً تكون أنت عبداً للمال، تكون خادماً له، ويكون المال سبب هلاك الإنسان أحياناً،

قد يقتله بعض الناس من أجل ماله، قد يتآمر عليه أولاده، وأقرب الناس إليه من أجل ماله، وقد يفعلون فيه الأعاجيب من أجل ماله، المال قد يكون نقمة .

فقر الإنفاق: قال أحد أصحاب النبي للنبي:

((والله إني أحبك، قال: انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك، قال: انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك، قال: إذا كنت صادقاً فيما تقول، للفقر أقرب إليك من شرك نعليك))

أي فقر هذا؟ فقر الإنفاق:

((يا أبا بكر، ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله))

هذا وسام شرف، أن يكون معك مال وتتفقه، أعرف طبيباً رحمه الله، أقام في أحد الأقبية في ريف دمشق، لكنه خدم الناس خدمة تفوق حدّ الخيال، كل شيء يملكه، أنفقه في سبيل الله، ما أبقى لنفسه شيئاً، صار معه مرض، فقال أحد زملائه لأهل هذه البلدة الطيبة: لو أن العملية تكلف ستة ملايين تدفعونها، أقسموا بالله ليدفعنها، لكن المرض كان ميؤوساً منه، كل شيء يملكه قدمه؛ هذا يلزمه مئة فأعطاه مئة، هذا يلزمه بيت فأعطاه بيتاً، هذا يلزمه زواج فزوجه، فلما توفي ، ما عرف الناس قدره إلا بعد الوفاة.

أي إذا فاتك من الدنيا شيء، فلا تنس نصيبك من الآخرة، وحظوظ الآخرة مبذولة لكل الناس، لكل المؤمنين، وقيمتك عند الله بعلمك وعملك، قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأحقاف الآية: ١٩]

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[سورة المجادلة الآية: ١١]

كيف كانت تستقبل فاطمة زوجها علي حينما يأتي إلى البيت ؟

فكانت هذه السيدة الجليلة راضية بما قدر الله لها، وهذه السيدة الجليلة، كانت ترى عائشة تستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلما عاد إلى بيته المتواضع، بالابتسام الحلو، واللقاء الجميل، رأيت المؤمنة؟ يكون زوجها فقير، فتستقبله بالرضا والابتسام، وتقبل منه دخله القليل، وبيته الصغير، وأثاثه الخشن، وتستقبله فرحةً مطمئنةً، تدخل إلى قلبه السرور، هذه المؤمنة، أما غير المؤمنة إن لم ينفذ لها طلباتها، والعياذ بالله، تصبح زوجةً لئيمة، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أعظم النساء بركةً أقلهن مؤنةً))

فحينما ترى السيدة عائشة تستقبل النبي في حجرتها المتواضعة، كان إذا صَلَّى قيام الليل أ راحت رجليها، ليتمكن من السجود، أي أن غرفتها لا تتسع لنومها وصلاة النبي .

الآن البيت تكون مساحته أربعمئة متر، وهي منبوذة، تطلب أحياناً طلبات خيالية، فإن لم يُنفذ، تقابله بأسوأ مقابلة، وهناك غرفة لا تتسع لصلاته ونومها، وكانت تستقبله باشة، هاشة، مبتسمة، ضاحكة، مؤنسة، مسلية.

فهذه السيدة فاطمة، كانت إذا علمت بقدم زوجها عليّ كرم الله وجهه، تهيأت لاستقباله ، الآن الزوجة غير المؤمنة أجمل ما فيها تبديه لغير زوجها، وأبشع ما عندها تبديه لزوجها؛ كلامها القاسي، هيأتها المتبدلة المهملة لزوجها، أرخص ثوب ترتديه لزوجها، أكره ثوب ترتديه لزوجها، فإذا كان عندها استقبال، أو عندها زيارة أو شيء، بدت وكأنها ملكة جمال، هذه المرأة التي لا تعرف الله .

انظر السيدة فاطمة: كانت إذا علمت بقدم زوجها علي، تهيأت لاستقباله بالابتسامة المشرقة، وبالعبابة اللطيفة، لتبرهن عما في قرارة نفسها بالرضا التام لما حباها الله تعالى، إذ جعلها بنت سيد المرسلين، وزوجة وليّ المؤمنين .

فالزواج نعمة، عندها زوج لا ترضي زوجها، عندها زوج لا تحسن إلى زوجها، عندها زوج لا تدخل على قلب زوجها الفرح، دائماً تضغط عليه .

والزوجة نعمة، فالذي عنده زوجة، دائماً يقسو عليها، ودائماً يضغط عليها، ويكلفها ما لا تطيق، ويستهنئ بها، هذه نعمة الزواج؛ نعمة الزوجة ونعمة الزوج، من أساء معاملة الطرف الآخر، فقد كفر هذه النعمة .

إليكم بعض الأحاديث التي وردت بشأن مكانة علي بن أبي طالب عند النبي :

عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ:

((بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَمَضَى فِي السَّرِيَّةِ، فَأَصَابَ جَارِيَةً، فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ، وَتَعَاقَدَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: إِذَا لَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرْنَاهُ بِمَا صَنَعَ عَلِيٌّ، وَكَانَ

إليكم ذرية فاطمة بنت النبي، والأحاديث التي وردت بشأن محبة النبي للحسن والحسين، وعلّة تسمية بناتها على تسمية أخواتها زينب وأم كلثوم :

طبعاً أول مولود أنجبته الحسن، لقد كان سرور النبي صلى الله عليه وسلّم بأولاد فاطمة رضي الله عنها عظيماً جداً، فاق كل سرور، بل لعله فاق سرور الأبوين نفسيهما، وكان عليه الصلاة والسلام، يأمل من زواج فاطمة من علي هذه الذرية الطيبة .

قال عليه الصلاة والسلام ليلة بنى عليّ بفاطمة، معنى بنى: أي دخل بها:

((لا تحدث شيئاً حتى تلقاني، فدعا بماء، فتوضأ منه، ثم أفرغ عليهما، وقال: اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك في نسلهما))

واستجاب الله عزّ وجلّ دعاء رسوله الكريم، فزرّق الزوجين المباركين ذريةً طيبةً مباركة، فما إن مضى أقل من عام على زفاف العروسين الكريمين، حتى احتفلت المدينة المنورة بمقدم المولود المبارك الذي سمّاه جده (الحسن)، وما أن أصبح عمر الحسن يقارب السنة حتى أردفته أمه بشقيقه الحسين، فكان في ذلك سرورٌ عظيمٌ من الجد الكريم، صار له أحفاد صلى الله عليه وسلّم، الحسن والحسين، وقف الوالدان مدهوشين أمام ذلك السرور العارم من الجد الرسول عليه الصلاة والسلام .

فكان عليه الصلاة والسلام يضمّهما إلى صدره الشريف، يعانقهما، ويغمرهما بكل ما امتلأ به قلبه الطاهر الكبير من حبٍ وحنان، ويفيض عليهما من عاطفة الأبوة ما شاء الله أن يفيض .

روى الإمام الترمذي عن أسامة بن زيد قال:

((طَرَقْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الْحَاجَةِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ، لَأُدرِي مَا هُوَ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَاجَتِي، قُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَكَشَفَهُ، فَإِذَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَى وَرِكَيْهِ، فَقَالَ: هَذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا، وَأَحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُمَا))

يحملهما على وركيه، على خصره .

وعن أنس بن مالك يقول:

((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة: ادعي لي ابني فيشتمهما، ويضمهما إليه))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء، وعلي
خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم
تطهيراً، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير))

[أخرجه الترمذي في سننه]

أي وأنت معهم، هنا في نقطة دقيقة، أي أن أهل البيت جزء من الدعوة، كيف؟ لو أن إنساناً يدعو
إلى الله، وأهل بيته، ليسوا كذلك، تنشأ مشكلة كبيرة، هذه المشكلة أنه إذا كانت هذه الدعوة
صحيحة، لم لا تطبق على أهل بيتك؟ هذا سؤال، فإن كانت ليست واقعية، فلا معنى لهذه الدعوة،
وإن كنت لا تستطيع أن تطبقها على أهل بيتك، عظ نفسك قبل أن تعظ الناس، هذه كل القصة،
لذلك يعد أهل البيت جزءاً من الدعوة، فإن استقاموا استقامت الدعوة، هذا معنى قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٣]

لا تستقيم الدعوة إلا بالانسجام، لا تستقيم الدعوة إلا أن يكون من حول هذا الذي يدعو على
شاكلة من يدعو .

سيدنا علي كان يسعد أيما سعادة، حينما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقاً تعلقاً شديداً
بالحسن والحسين، سره أن تتصل حياة النبي الكريم بحياته هذا الاتصال الوثيق، وتتابع الثمرات
المباركات، وتلد الزهراء طفلتها الأولى في العام الخامس من الهجرة، فسمّاها جدها صلى الله
عليه وسلم زينب، إحياءً لذكرى خالتها الراحلة زينب، وبعد عامين من ولادة زينب، وضعت
فاطمة رضي الله عنها الطفلة الثانية، التي اختار لها جدها اسم أم كلثوم، تطيباً لخاطر الخالة التي
لم يقدر الله تعالى لها أن تتجب من زوجها عثمان، أم كلثوم لم تتجب من عثمان، فسمى ابنة
فاطمة الثانية أم كلثوم، فصار الحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم .

لقد ملأت هذه الذرية الطاهرة قلب الجد الكريم بحنان الأبوة، الذي افتقده بوفاة أبنائه؛ إبراهيم،
والقاسم، وعبد الله .

فلحكمة أرادها الله، لم يشأ الله أن يكون للنبي ذرية من الذكور، فمات ابنه إبراهيم، وابنه القاسم، وابنه عبد الله، وحفظ الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا القدر من السعادة الأبوية المتمثلة بحبه العميق لأولاد فاطمة، وعلى الأخص منهم؛ الحسن والحسين .

مشهد نستنبط منه العبر :

إليكم هذا المشهد: يروي الإمام النسائي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ((خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَالَهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ، حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ))

[أخرجه النسائي في سننه]

كنت في مسجد قبل يومين، فصلى طفل في الصف الأول، جاء إنسان بقسوة ما بعدها قسوة، دفعه إلى صف آخر، تألمت أشد الألم من هذا الموقف، النبي عليه الصلاة والسلام يحمل الحسن والحسين، ويدخل المسجد، ويضعهما أمامه، ويؤم الناس .

هكذا كانت رقة النبي عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان حب النبي، وهكذا كان رفق النبي بالصغار .

أيها الأخوة، نحن الآن في أمس الحاجة إلى أن نربي الصغار، لأنهم المستقبل، إذا كان حاضر أمتنا لا يرضينا، فلا بأس من أن نسعى للمستقبل، بتربية أولادنا تربية إسلامية صحيحة، والطفل كما ورد أن:

((لَاعِبٌ وَلَدُكَ سَبْعًا، وَأُدْبَهُ سَبْعًا، وَرَاقِبُهُ سَبْعًا، ثُمَّ اتْرَكَ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ))

من الواحد إلى السبعة ملاعبة، من السبعة إلى أربعة عشر تأديب، من أربعة عشر إلى الواحد والعشرين مراقبة، في الواحد والعشرين صار زميلك، صديقك، وانتهى الأمر .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَدَّ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ))

[أخرجه النسائي في سننه]

أي أن أعظم عمل على الإطلاق؛ أن تربي ابنك تربيةً صحيحة، ليكون خليفتك من بعدك، وحينما تربي ابنك تربيةً صحيحة، أنت لا تموت حينئذٍ، فكل أعمال ابنك في صحيفتك، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

[سورة الطور الآية: ٢١]

لي قريب فجأة، شعر بدنو أجله، جمّع ثروة طائلة، ثروة كبيرة جداً في السبعينات، فقيمتها الآن عشرة أضعاف، أو عشرون ضعفاً، أو ثلاثون ضعفاً، وترك ولدين بعيدين عن الدين كلياً، قال كلمة: تركنا أئمن شيء، وهم الأولاد، لم نعتن بهم، وجمعنا شيئاً لا قيمة له، وهو المال .

والحمد لله رب العالمين

السيرة- سيرة الصحابيات الجليلات - بنات النبي الكريم -السيدة فاطمة الزهراء الدرس (٣-٣):
سيرة السيدة فاطمة الزهراء ٣

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٠٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا لقت فاطمة بأم أبيها، وما هو الشعور التي كانت تبادلها لأبيها، وهل كان النبي يبادلها نفس الشعور:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا مع سير الصحابيات الجليلات رضوان الله عليهن أجمعين، ومع سيرة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها، ومع الدرس التاسع والعشرين .
أيها الأخوة الكرام، قضت فاطمة حياتها كلها، وهي تحت أنظار أبيها، كانت قريبة من أبيها أشد القرب، لم تغب عن لمحاته إلا ساعات خروجه من الدار، وقد كانت شديدة التعلق به والاهتمام، حتى كنيته: بأم أبيها، من شدة تعلق السيدة فاطمة بسيدنا رسول الله كنيته أم أبيها، أي كأنها أم له من شدة محبتها، وتعلقها، وحرصها، وخدمتها، كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بها أيضاً .
الآباء يعرفون هذه الحقيقة: البنات أقرب إلى آبائهم من البنين، لأن المرأة عاطفتها جياشة ، وفاؤها شديد، وأقرب للفطرة، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام لما زوجها علياً، أسكنها بيتاً ملاصقاً لحجراته الملاصقة لمسجده، وكان عليه الصلاة والسلام إذا عاد من غزواته، أو من سفره، ابتداءً ببيت ابنته فاطمة، ثم يطوف بعدها على بيوت نسائه .
روى ابن عبد البر عن أبي ثعلبة، قال:

((كان عليه الصلاة والسلام، إذا قدم من غزو، أو سفر، بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم

يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه))

وهذه السنة، تكريم البنت من السنة، فالحقيقة تكريم البنت يقوي مركزها عند زوجها، البنت الشرف معوان يحجزها عن مخالفة الشرع .

لذلك قالوا: إنه لم يكن أحدٌ أشد حزنًا على فراق رسول الله من فاطمة على الإطلاق سوى أبي بكر رضي الله عنه .

كيف خبر النبي فاطمة بدنو أجله حتى لا تفجع على هذه المصيبة ؟

وقد أدرك عليه الصلاة والسلام أنه على وشك مغادرة الدنيا، لذلك راح يمهد للسيدة فاطمة بإخبارها، بأن أجله قد اقترب، لئلا تتفاجأ بالمصائب الذي لا تحتمله، أراد أن يبلغها .
وبالمناسبة: لكرامة المؤمن عند الله، يشعره بدنو أجله، النبي عليه الصلاة والسلام لما نزل قوله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

[سورة النصر الآية: ١-٣]

هذه السورة فيها نعي النبي عليه الصلاة والسلام، كيف لا؟ وقد قال الله عز وجل:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾

[سورة الزمر الآية: ٣٠]

أي أنك لا بد أن تموت، هذه سنة الله في كل خلقه، والآية الثانية:
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ
عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٤٤]

فمن شدة محبة الصحابة الكرام للنبي عليه الصلاة والسلام، ومن شدة تعلق السيدة فاطمة بأبيها، هذه الآيات تقرأها، ولكن لم يخطر على بالها، أنه سيموت، لذلك خشي النبي عليه الصلاة والسلام وقع المصائب الأليم على نفسها، فأخذ يبسر لها ببعض الشيء عن رحيله من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة، وأن ذلك قدر الله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

[سورة فاطر الآية: ٤٣]

الحقيقة: حينما أملت وعكةً شديدةً برسول الله صلى الله عليه وسلم في ليالٍ بقين من صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة، ظن آل بيته والمسلمون، أنها وعكة طارئة، لا تلبث أن تزول، دون أن يفكر أحدٌ أنه مرض الموت، وبقي النبي عليه الصلاة والسلام أسير مرضه لا يغادر فراشه، وكان المسلمون يعودونه في مرضه، وقلوبهم متعلقةً به، تأمل له من الله تعالى الشفاء العاجل، وكان جميع أهله لا يتركونه، وهم في أشد لهجة بالدعاء إلى الله عز وجل، أن يشفي رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا سيما فاطمة، وعلي، والحسن، والحسين، وأخواتهما زينب، وأم كلثوم، وكل زوجاته الكريمات، أخذن يسألن الله عز وجل أن يعافي نبيه صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ، تَمْشِي مَا تَخْطِيُ مَشِيَّتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، - أشبهه إنسان برسول الله فاطمة، ما تخطى مشيتها مشية رسول الله، قد يسأل أحدكم: ما تخطى مشيتها مشية، لم مشية بالكسر؟ نحن عندنا مصدر الهيئة، والمصدر مرة، مصدر الهيئة مكسور الميم، مصدر المرة مفتوح - فلما رآها، رحب بها، فقال: مرحباً بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها، همس في أذنها، فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جزعها، سارها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره، قالت: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين - أي يتلو أمامه القرآن مرة - وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب - استنبط النبي عليه الصلاة والسلام أن جبريل لما عارض، أي تلا القرآن على النبي مرتين، أنها السنة الأخيرة في حياته - فاتقى الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي، سارني الثانية، فقال: يا فاطمة، أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت))

[أخرجهما البخاري ومسلم واللفظ له في صحيحهما]

هكذا عالج النبي عليه الصلاة والسلام وقع المصيبة على ابنته فاطمة قبل حصولها، رافة منه عليها ورحمة .

كتعليق: أي إنسان تخبره أنك سوف تموت بعدي سريعاً يضحك؟! مستحيل، لماذا ضحكت؟ لتقتها بما عند الله من إكرام لها، الإنسان حينما ينقل اهتماماته إلى الدار الآخرة تسعده الدنيا، حينما ينقل اهتماماته إلى الدار الآخرة، حينما يقدم الأعمال الصالحة تلو الأعمال، أسعد شيء له أن يلقي الله عز وجل، لذلك المقياس دقيق، ربنا عز وجل خاطب اليهود:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾

[سورة الجمعة الآية: 6-7]

المؤمن حينما يكون عمله صالحاً، يتمنى لقاء الله، وحينما يكره لقاء الله، يكون عمله سيئاً، قال

تعالى:

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

[سورة الجمعة الآية: ٧]

صار مقياس، الإنسان المستقيم الذي له أعمال صالحة، دخله حلال، إنفاقه حلال، بيته إسلامي، لا توجد عنده مشكلة، لذلك يدعو الله عز وجل أن يكون من أهل الجنة .

في أي بيت تمرض النبي من بيوت زوجاته في اللحظة الأخيرة من عمره، وهل كانت تزوره فاطمة، وماذا تصنع؟

ولقد بقيت فاطمة، ترقب أباهما على تخوفٍ، حتى إذا رأته بعد أيامٍ قد تحامل على نفسه، يدور على نسائه أمهات المؤمنين كسابق عهده، راودها الأمل بشفائه .

بالمناسبة: كل داء له دواء، وهذا الحديث يعطي الإنسان أمل كبير:

((كُلُّ دَاءٍ دَوَاءٌ))

[أخرجه مسلم عن جابر في الصحيح]

المريض يتفاعل، والطبيب يشعر أنه مقصر إن لم يبحث عن الدواء، فحافز للطبيب أن أي مرض له دواء، وطمأنينة للمريض لا تفلق، إلا مرض الموت، مرض الموت ليس له حل، فإذا كان الله عز وجل كتب للإنسان أنه سيموت، وطبعاً سيكون هذا الموت، بسبب مرض من الأمراض، هذا المرض يتم إلى أن ينتهي بالموت، فالإنسان يحضر حاله؛ في أمراض تميل نحو الشفاء، في أمراض تميل نحو التناقم، إذاً: هو مرض الموت .

راودها الأمل بشفائه، ولكنه لم يصل إلى بيت ميمونة أم المؤمنين، حتى اشتد عليه وجعه ، فأقام عندها وقتاً، ثم دعا زوجاته، يطلب إليهن ويستأذنهن في أن يمرض في بيت أم المؤمنين عائشة، فيبادرن إلى امتثال أمره، وكانت كل واحدة تأمل أن يكون مرضه في بيتها، تشريفاً لها . وكانت فاطمة كثيراً ما تتردد على بيت عائشة، تقوم إلى جانب أبيها الذي أثقله المرض، تخدمه، وتسهر عليه مع عائشة، تشكو بثها وحزنها إلى الله تعالى، وتتجمل بالصبر على قضاء الله تعالى وقدره، ولسانها يلهج إلى الله سبحانه بالدعاء، أن يخفف عن رسوله آلام وجعه .

هل فهم أبو بكر مقولة رسول الله: (إن عبداً من عباد الله...)، وبماذا أمر النبي الناس، وهل استغفر لأهل البقيع ؟

وفي فترات سكون الألم، كان عليه الصلاة والسلام، يخرج إلى المسجد، فيصلي بالناس، وفي يوم الجمعة، خرج عاصباً رأسه، حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به، أنه صلى على أصحاب أحد، أي دعا لهم، واستغفر لهم، وأكثر من الصلاة عليهم، ثم قال:

((إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، قَدْ خَيْرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ .

فهم الصديق أنه يعني نفسه، فبكى، وقال: يا رسول الله، بل نفديك بأرواحنا، وأولادنا وأنفسنا، فقال عليه الصلاة والسلام: عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما]

بالمناسبة: أيها الأخوة، في للنبي قول:

((وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ))

[أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري في الصحيح]

قال:

((ما ساعني قط فاعرفوا له ذلك))

لذلك من هو الحبيب؟ هو الله، إذا أحبك الله، ألقى حبك في قلوب الخلق، إذا أحبك الله خدمك أعدائك، وإذا لم يحبك الله، تولى عنك أحبابك، فأیما إنسان أكرمه الناس، واحترموه، وأحبوه، فهذه محبة الله، وإذا أهانوه، وقسوا عليه، فهذا تأديب الله عز وجل، الأصل هو الله، إذا أحبك الله، أحبك الخلق، وإذا أبغضك الله، أبغضك الخلق، ألقى بغضك في قلوب الخلق، والطريق إلى الله سالك، والقرب منه سهل، ولا شيء تتقرب به إلى الله كطاعته، وطاعته معروفة؛ طاعته غير تعجيزية، هناك أشخاص يضعون لك شروطاً تعجيزية، طاعته سهلة، قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٨٦]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٣]

((يا سعد، لا يغرنك أنك خال رسول الله، فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينه وبينهم

قراية، إلا طاعتهم له))

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، يكفي أن تستقيم على أمره يحبك، فإذا أحبك أحبك الخلق .

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

((سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ، الشَّوَارِعَ إِلَى الْمَسْجِدِ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ امْرَأً أَفْضَلَ عِنْدِي يَدًا
فِي الصُّحْبَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ))

أترى لهذا التقدير؟ أحياناً الإنسان تخدمه، وتخدمه، وتجده ساكناً، تكلم بكلمة، شجع الذي يخدمك،
بين مكانته، اشكره، قدرْ معروفه،

((وكانت تعظم عنده النعمة مهما دقت))

رأى أحدهم قشة على ثوب النبي صلى الله عليه وسلم فأخذها، رفع النبي يديه، قال له:

((أكرمك الله))

وهي قشة، هناك شخص يتلقى خدمات، خدمات، عناية، ثم أمره كما قال ذلك الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

و كم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

الفرق كبير جداً بين إنسان يقدر المعروف، يقدر الإحسان، يقدر الإكرام، وبين إنسان لا يقدر:

((لا أعلم امرأً أفضل عندي يدًا في الصحبة من أبي بكر))

((ما ساعني قط))

((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوّة إلا أخي أبا بكر))

كما خرج صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد قبل اشتداد وجعه، يدعو لهم، ويستغفر لهم.
فقد روى الإمام أحمد عن أبي مؤيّهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُؤَيّهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ
أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبُقَيْعِ، فَانْطَلِقْ مَعِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا
أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّأَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ،
أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتَّبِعُ أَوْلَهَا آخِرَهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ،
فَقَالَ: يَا أَبَا مُؤَيّهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةِ، وَخَيْرْتُ بَيْنَ
ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةِ، قَالَ، قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخَذَ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ
الْجَنَّةِ، قَالَ: لَنَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُؤَيّهِبَةَ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ
الْبُقَيْعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَدَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْعِهِ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالذُّوَابُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

ما هو المقصود من هذا الحديث ؟

وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن زمعة قال:

((لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم الوجع، وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين، قال: دعا بلالاً إلى الصلاة، فقال عليه الصلاة والسلام: مروا من يصلي بالناس، قال: فخرجت، فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: قم يا عمر فصلي بالناس، قال: فقام، فلما كبر، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، وكان عمر رجلاً جهوري الصوت، قال: فقال النبي عليه الصلاة والسلام: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس، قال عبد الله: قال لعمر: ويحك، ماذا صنعت بي يا بن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس، قلت: والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكر، رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس))

الإشارة قوية جداً إلى أن الخليفة الذي يكون من بعده هو سيدنا الصديق .

فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((لَمَّا كَانَ وَجَعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، قَالَ: ادْعُوا لِي أَبَا بَكْرٍ وَابْنَهُ فَلْيَكْتُبْ، لِكَيْلَا يَطْمَعَ فِي أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ طَامِعٌ، وَلَا يَتَمَنَّى مُتَمَنَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا بِي اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ مُؤَمِّلٌ: مَرَّةً وَالْمُؤْمِنُونَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَبَى اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ، وَقَالَ مُؤَمِّلٌ: مَرَّةً وَالْمُؤْمِنُونَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَبِي، فَكَانَ أَبِي))

[أخرجه أحمد في مسنده]

هل أعجب النبي هيئة المسلمين في صلاتهم في لحظته الأخيرة من الحياة، وماذا قال، وماذا أجاب عن كلمة قالتها ابنته حينما ما رأت عليه ما أرت ؟

وروي عن أنس بن مالك:

((أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله تعالى فيه رسوله صلى الله عليه وسلم، خرج إلى الناس، وهم يصلون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما رأوه فرحاً به، وترفجوا، -أي تفرقوا- فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم، قال: فتبسم

النبى صلى الله عليه وسلم سروراً، لما رأى من هياتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة .

-وفي رواية أخرى قال:

((حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء))

هذا هو العمل، أن تربي أشخاصاً، أن تربي قادة، أن تربي مؤمنين، أن تربي محسنين، أن تربي أناساً يحبون الله، يقيمون أمر الله في حياتهم .

وفي رواية:

((حتى بدت نواجذه))

من شدة فرحه .

فهذه ثمرة العمل، تصور إنساناً زرع شجرة، فلما أينعت وأثمرت، يشعر بسعادة كبيرة جداً؛ فالدعوة إذا أثمرت أناساً مؤمنين، صادقين، ورعين، مستقيمين، دعاة إلى الله عز وجل، فهذا إنجاز كبير جداً- .

قال: ثم رجع، وانصرف الناس، وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق، -أي برئ من وجعه، فرحوا الناس، فهذه صحوة الموت، قبل الموت في صحوة، المؤمنون ينتعشون قبل الموت، ليشهدوا أنه لا إله إلا الله، وليكون لقاؤهم بالله عز وجل عن وعي- وقد خاطبهم النبي عليه الصلاة والسلام فقال: أيها الناس سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون علي بشيء، إني لم أحل إلا ما حل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن))

أي لا يوجد علي مأخذ، ما أحلت إلا ما أحل الله، وما حرمت إلا ما حرم الله، لكن المعنى المخالف، الذي يحل ما حرم الله له عذاباً أليم، أو الذي يحرم ما أحل الله .

قالت عائشة:

((رجع إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم، حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجري، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شَخَصَ، وهو يقول: اللهم الرفيق الأعلى من الجنة، فقلت: خُيرت واخترت، والذي بعثك بالحق .

-فالآن هناك خيارات في الأرض، لا يعلمها إلا الله؛ إنسان يختار النساء، إنسان يختار الأموال،

إنسان يختار السفر، إنسان يختار القوة، إنسان يختار المتعة الرخيصة، إنسان يختار الشهادات العليا، إنسان يختار المكانة الاجتماعية، إنسان له هوايات؛ هذا بالحدائق، هذا بالكتب، هذا بالطوايع، هذا باللعب، هذا بالكرة، من هو البطل؟ هو الذي اختار الله:
 من أحبنا أحببناه ومن طلب منا أعطيناه
 و من اكتفى بنا عما لنا وما لنا كنا له
 فالبطولة أن تحسن الاختيار - .

قالت: وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم، كانت فاطمة رضي الله عنها حاضرةً عنده، ترى ما نزل به من أمر الله تعالى الذي لا مردَّ له، فتأخذها العبرات حزناً ولوعةً على أبيها، وهي تراه يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ))

[أخرجه البخاري عن عائشة في الصحيح]

إذا قال هذا النبي، فنحن ماذا يجب أن نقول؟ .

قال أنس:

((لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم، جعل يتعشاه، فقالت فاطمة: واكرب أباه، فقال عليه الصلاة والسلام: لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ))

[أخرجه البخاري عن أنس في الصحيح]

إليك هذا القول الذي نعتت فاطمة أباه به، وكلمة الحق الذي صدع بها الصديق حينما سمع نبأ وفاة النبي، وماذا قال عمر حينما سمع هذه الكلمة؟

فلما مات قالت:

((يا أبتاه، أجب رباً دعاك، يا أبتاه، في جنة الفردوس مأواك، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاك))
 فلما دفن عليه الصلاة والسلام، قالت فاطمة فرحاً على أبيها، فعن أنس قال:

((لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَعَشَاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَكَرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أْبْتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أْبْتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أْبْتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنَعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا أَنَسُ، أَطَابْتَ أَنْفُسَكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ؟))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

ممکن أن یوضع هذا الإنسان تحت الثرى، وأن یهال علیه التراب، هذه سنة الله فی خلقه ، الموت نهاية كل حی:

واللیل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر

والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

ویقع الخطب العظیم، ویعم المصاب جمیع المسلمین، ویموج الناس حیارى، حتى وقف أبو بكر، أنا لا أعتقد أن على وجه الأرض إنسان یحب إنساناً كحب الصدیق لرسول الله، لكن أعظم ما فی هذا الموقف، أن هذا الحب ما حمله على الشرك، وقف رضي الله عنه، وقال قولته الشهيرة:

((أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ

اللَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾

وَقَالَ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ

عَلَى عَقْبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

- ما من كلمة أبلغ من هذه الكلمة، نحن ديننا دين التوحيد: أشهد أن محمداً عبده ورسوله . أحياناً مرید بسيط، یحب شیخه فیؤلّیه، یحب شیخه، یعبده من دون الله، سیدنا الصدیق كان مع رسول الله، مع أكبر إنسان، ومع ذلك هذا الحب الشدید، وهذا الهیام، ما دفعه إلى الشرك أبداً. إن مات أو قتل: إن تفید احتمال الوقوع، ونحن عندنا قاعدة، حينما قال الله عز وجل:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[سورة المائدة الآية: ٦٧]

قال علماء التفسیر: یعصمك من أن تُقتل، لأن قتل النبي إنهاءً لدعوته، وإنهاء دعوته تحدّ الله عز وجل، لذلك النبي علیه الصلاة والسلام معصومٌ من أن یقتل، والنبي صرف حرّاسه لما نزل قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[سورة المائدة الآية: ٦٧]

صرف حرّاسه، فكيف نوفق بین هذه الحقيقة و بین هذه الآية؟:

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٤٤]

الحقيقة: بعد أن بلغ الدعوة؛ يمكن أن يموت، ويمكن أن يقتل، القتل هنا لا يأتي إلا بعد تبليغ الدعوة، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[سورة المائدة الآية: 3]

قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية، -من شدة حب أصحاب النبي لرسول الله، هذه الآية كأنهم ما سمعوا بها إطلاقاً:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 144]

قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فالأرض عندئذ ما تقلني رجلاي، حتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها))

هو ما كان يصدق ذلك، فلما تلا هذه الآية، عرف أنه قد توفي، ديننا كله حب، من دون حب لا يوجد دين، قال:

((يا رسول الله، إني أحبك أكثر من كل شيء، إلا من أهلي وأولادي ومالي، قال: لما يكمل إيمانك يا عمر، إني أن قال: والله يا رسول الله، أصبحت أحبك أكثر من نفسي، وأهلي، ومالي، قال له: (الآن يا عمر))

فلا بد أن تحب الله، وأن تحب رسوله، وأن تحب المؤمنين، وأحد شروط الإيمان؛ أن تحب المؤمنين، إن لم تحب المؤمنين فمن تحب؟ تحب الكفرة، الفسقة، الفجار، هذا الذي يميل للكفار، والعصاة، والفجار، ويعادي المؤمنين، حالته خطيرة جداً، يضع نفسه مع أهل الفجور .

وفاتها :

قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، أنبأ النبي السيدة فاطمة، أنها أول أهله لحوقاً به، فتوفيت فاطمة الزهراء رضي الله عنها بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهرٍ أو نحوها، وكان قد أذهلها المصاب الفادح، وغشيها من الأحزان على فراق أبيها صلى الله عليه وسلم ما غشيها، حتى أتاهما أجلها، وقضت نحبها .

قال عبد الله بن الحارث:

((مكثت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، وهي تدوب من شدة الألم على أبيها))

وقال الحافظ الذهبي: ولما توفي أبوها صلى الله عليه وسلم تعلقت أمالها بميراثه، وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر رضي الله عنه، فحدثها أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((لا نُورُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً))

وقال أبو بكر لها:

((يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك، وأعرف فضلك، وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟! إلا أني سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: لا نُورُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً))

وما أن انقضت الأيام قريباً من أيام الوداع الخالدة، حتى أخذت في التفكير بالاستعداد ليوم الرحيل، فقد بشرها أبوها صلى الله عليه وسلم بأنها أول أهله لحوقاً به، فكانت كثيراً ما تتحدث عن الموت، حتى قرب أجلها .

تقول أم رافع: مرضت فاطمة الزهراء، فلما كان اليوم الذي توفيت فيه، قالت لي: يا أم اسكبي لي غسلًا، فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم لبست ثياباً لها جدد، ثم قالت: اجعلي فراشي وسط البيت، فاضطجعت عليه، واستقبلت القبلة، وقالت: يا أم، إني مقبوضة الساعة، وقد اغتسلت، فلا يكشفن لي أحدٌ كفنًا، فماتت رضي الله عنها، فجاء علي بن أبي طالب، فأخبرته فاحتملها، ودفنها بغسلها هي، صلى عليها هو والعباس رضي الله عنهم جميعاً، وتوفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشر من الهجرة .

خاتمة القول :

أيها الأخوة، كلما كان عمك طيباً، كان الموت مريحاً، وكان الموت محبوباً، وكان الموت عرساً، وكان الموت تحفةً، فكل بطولتك أن تستقيم على أمر الله، وأن تعمل صالحاً حتى يكون الموت محبباً إليك، لأن الموت عند الناس أكبر مصيبة، في حالات كثيرة جداً خوف الناس من الموت لا يوصف، السبب كما قال الله عز وجل مرة ثانية:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

[سورة الجمعة الآية: 6-7]

فتمني الموت أو عدم تمني، الموت مقياس دقيق لعملك، لا يوجد عندك مشكلة، لا يوجد دخل حرام، ولا مخالفة، ولا معصية ببيتك، ولا معصية في عملك، والوجهة إلى الله سليمة، وفي قلبك حب، مرحباً بالموت، خَطُّكَ البياني صاعد صعوداً مستمراً، والموت نقطةً على هذا الخط .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

- الدرس ٠١ - سيرة السيدة رقية ذات الهجرتين ١
- الدرس ٠٢ - السيدة زينب الكبرى - الدرس (٢-١) : سيرة السيدة زينب الكبرى ١٧
- الدرس ٠٣ - السيدة زينب الكبرى - الدرس (٢-٢) : سيرة السيدة زينب الكبرى ٢٨
- الدرس ٠٤ - سيرة السيدة أم كلثوم ٤٢
- الدرس ٠٥ - السيدة فاطمة الزهراء الدرس (٣-١): سيرة السيدة فاطمة الزهراء ١ ٥٩
- الدرس ٠٦ - السيدة فاطمة الزهراء الدرس (٣-٢): سيرة السيدة فاطمة الزهراء ٢ ٧٥
- الدرس ٠٧ - السيدة فاطمة الزهراء الدرس (٣-٣): سيرة السيدة فاطمة الزهراء ٣ ٨٦
- الفهرس ٩٩